القاموس الإسلامي للناشئين والشباب

١٢

انتشار الإسلام في أوروبا

مكتبة العبيكان

القاموس الإسلامي

للناشئين والشباب

١٢

انتشار الإسلام في أوروبا

إعداد :

محمد علي الهمشري

السيد أبو الفتوح

علي إسماعيل موسى

دار أراكان

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الهمشري، محمد علي

انتشار الإسلام في أوروبا : محمد علي الهمشري، السيد أبو الفتوح، علي إسماعيل موسى – الرياض.

... ص؛ ..سم (القاموس الإسلامي للناشئين والشباب؛ ١٢)

ردمك: ١–٣٩٢–٢٠–٩٩٦٠

١– العقيدة الإسلامية ـ معاجم ٢– الفكر الإسلامي ـ معاجم
٣– الحضارة الإسلامية ـ معاجم أ– أبو الفتوح، السيد (م. مشارك).
ب– موسى، علي إسماعيل (م. مشارك) ج– العنوان د– السلسلة

ديوي ٣، ٢٤٠ ١٨/٠٦٩١

ردمك: ١–٣٩٢–٢٠–٩٩٦٠ رقم الإيداع : ١٨/٠٦٩١

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٧

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.
ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥
هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩


بسم الله الرحمن الرحيم

القاموس الإسلامي للناشئين والشباب

إشراف :

د. محمد بن سعد السالم	الأمين العام لمجلس التعليم العالي .
د. فهد بن عبد الله السماري	وكيل وزارة التعليم العالي للشؤون الثقافية ـ والمشرف العام على دارة الملك عبد العزيز .
د. عبد المحسن بن سعد الداود	نائب رئيس تحرير جريدة الرياض ورئيس قسم التربية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقا .
أحمد محمود نجيب	أستاذ أدب الأطفال ـ الحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م) .

إعداد ومراجعة:

محمد علي قطب الهمشري	باحث بالتطوير التربوي بوزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية سابقًا .
السيد أبو الفتوح السيد	موجه بالتعليم الثانوي بجمهورية مصر العربية سابقًا .
علي إسماعيل موسى	أستاذ مساعد بالمركز القومي للبحوث التربوية والتنمية ـ القاهرة

مراجعة :

أحمد محمود نجيب	مدير مركز أدب الأطفال سابقًا ـ المنتدب أستاذًا (لمواد الأطفال) بجامعة القاهرة
د. عبد المحسن بن سعد الداود	نائب رئيس تحرير جريدة الرياض ورئيس قسم التربية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقا .
د. فهد بن عبد الله السماري	وكيل وزارة التعليم العالي للشؤون الثقافية ـ والمشرف العام على دارة الملك عبد العزيز .
د. عبد الجليل شلبي	أمين عام مجمع البحوث الإسلامية الأسبق بالأزهر الشريف .
د. عبد الله بن صالح الحديثي	عضو هيئة التدريس ـ قسم الفقه ـ كلية الشريعة ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقا ، ووكيل وزارة العدل المساعد .
د. فهد عبد الكريم السنيدي	عضو هيئة التدريس ـ قسم الفقه ـ كلية الشريعة ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
علي عبود أحمد معدّي	إخصائي تعليمي بالتطوير التربوي ـ وزارة المعارف .
أحمد فيصل الفيصل	باحث بالإدارة العامة للمناهج ـ وزارة المعارف .
أ. د. حسن محمود الشافعي	أستاذ الدراسات الإسلامية ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة
د. محمد محمود رضوان	الأستاذ بمعهد التربية العالي للمعلمين سابقا . ووكيل أول وزارة التربية والتعليم الأسبق ـ القاهرة
د. حسن جاد طبل	الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة .
د. فهمي قطب الدين النجار	عمادة البحث العلمي ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .



مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله ومن سار على دَرْبه واتَّبعَ هداه إلى يوم الدين.

أما بعد ،،

فإن أسمى رسالة يكرّس الإنسانُ لها نفسه هي رسالة تربية جيل مسلم، يرعى اللهَ في شئون دينه ودنياه، ويحمل الأمانةَ للحفاظ على دستور الإنسانية الخالد، كتاب الله الكريم، وهَدْي رسوله الأمين ﷺ، ويسلك في هذه الحياة وفقا لقواعد السلوك الإسلامي الصحيح.

وواقع الأمر أن الاهتمام بالعلوم الإسلامية والتربية الدينية ليس مسئولية المدرسة وحدها؛ فالخطط الدراسية توزَّع على مواد التعليم المختلفة، والمناهج مزدحمة، وعدد الساعات المخصصة لكل مادة لا يقبلُ الزيادة،

والكتب المدرسية تقلَّصَت وظيفتُها في كثير من الأحيان. واقتصرَ على تقديم القدر - من المعلومات - الذي يَسمح بنجاح الدارس في الامتحان. ولا يَستطيعُ أحد أن يَتجاهلَ أن حاجة الناشئ المسلم ماسّة إلى مرجع وافٍ يجيب عن مختلف الأسئلة التي تَعرض له في حياته اليومية، فضلاً عن أن يُشْبعَ ظمَأه للقراءة الحرة التي تجلبُ له المتعة، من خلال الاطلاع على محُدّدَات سلوك المسلم، في مجال الطهارة والعبادات وغيرها، إلى جانب الاطلاع على التراث الإسلامي، وأمجاد الإسلام على مر العصور.

ومن حاجة الشباب المسلم بعامة، والناشئينَ بخاصة، نَبعَت إذن فكرةُ إصدار هذا القاموس:

«القاموس الإسلامي للناشئين والشباب»

***

وفيما يلي مزيد من التعريف بهذا القاموس:

* إنه قاموسٌ متخصص، يُعالجُ المصطلحات الدينية اللازمةَ لتثبيت المفاهيم الإسلامية الصحيحة لدى الناشئين والشباب في العبادات والمعاملات، ويوفّر لهم الزادَ اللازمَ عن أبرز معالم الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، والقيم التي أرساها الإسلام، ورسَّخَ أصولَها.

وإذا كـان العُرْفُ قـد جـرى على أن يكونَ القـامـوسُ مـرجـعًا يَرجعُ إليـه القارئُ للكشف عن أصل مفردة من المفردات، وعن اشتقاقها أو عن معناها وكيفيـة استخدامها فإن هذا القاموسَ المتخصصَ يؤدي إلى جانب هذا وظيفة أخرى في مجاله؛ إذ يُعد مصدرًا للقراءة المتصلة، وللمعرفة والمتعة في كل مَدْخل من المداخل التي يعالجها؛ فهو يشرحُ المفهومَ الديني الذي يتضمنه المدْخَلُ (المفردة)، ويعرضُ لاستخدامه في الآيات القرآنية وفي الحديث الشريف، ويعالجُ الاشتقاق اللغوي من زاوية الثقافة والمعرفة الدينية بشكل أساس. ويستطيع المستفيدُ من القاموس أن يعتمدَ على المادة المعروضة تحت كلّ مدخل على أنها مصدر قرائي يضم مادة متكاملة، وليس مُجردَ ثَبت بقوائم للمفردات ومعانيها.

* وهذا القاموسُ يضع يدَ القارئ على المفردات أو المصطلحات الدينية الأساسية المتداولة في كتاب الله الكريم، وفي كتب الحديث وكتب الفقه، والتي تتجمعُ حولها المفاهيمُ الأساسية التي تشكلُ تفكير الإنسان المسلم وسلوكَهُ وممارساته.

وتلك المفرداتُ أو المصطلحات هي «المدَاخلُ» المعروضةُ في أبواب القاموس.

ومن هنا فإنه عُمد إلى وضع أجزاء تحوي بين دفتي كل جزء منها شرحًا وتفسيرًا لما استُغلق على الفهم، أو توضيحًا لما استتر. وهذه الأجزاء هي:

(١) العقيدة.
(٢) الطهارة.
(٣) الصلاة.
(٤) الزكاة.
(٥) الصوم.
(٦) الحج والعمرة.
(٧) الجهاد.
(٨) الأسرة المسلمة.
(٩) المعاملات الإسلامية.
(١٠) انتشار الإسلام في آسيا.
(١١) انتشار الإسلام في إفريقيا.
(١٢) انتشار الإسلام في أوروبا.
(١٣) نظم الحكم في الإسلام
(١٤) ازدهار العلوم والفنون الإسلامية.
(١٥) مفاهيم وقيم إسلامية.

* * *

* تعالَجُ في كل جزء من أجزاء القاموس - وبترتيب ألفبائي - المداخلُ الرئيسة التي تقعُ فيه، والتي وقعَ الاختيار عليها من قبَل القائمين بإعداد مادة القاموس، وذلك بعد عملية مسح شامل للمصادر الأم في الموضوع، وبعد عملية انتقاء دقيقة تم من خلالها استبعادُ المداخل غير الأساسية، التي يتضحُ عدمُ شيوع استخدامها، وعدم حاجة الناشئة إليها بدرجة كبيرة في هذه الفترة من حياتهم.

* وقد رُوعِيَ في المداخل التي يقدمُها القاموسُ أن تكون في صيغة الاسم أو المصْدر، وليس في صيغة الفعل الثلاثي، كما هي الحالُ في معظم القواميس اللغوية؛ وذلك مراعاة للغرض من القاموس، باعتبار أنه قاموسٌ متخصص، ومراعاة لاحتياجات القارئ الذي يواجه - على الأرجَح - مُصطلحا دينيّا يريدُ تعرُّفَه، وهذا المصطلحُ غالبا ما يكونُ في صيغة المصدر، وربما لايستطيع القارئ أن يعودَ بالمُصطلح الذي يواجههُ إلى فعله الأصلي مجردًا، كما أنه - على الأغلب - لا يريدُ أن يدخلَ في متاهة الاشتقاقات اللغوية التي قد تبعده عن غايته، وتعوق استفادته المنشودة.

* ويحرصُ القاموسُ على تقديم الخرائط للشرح و التعريف كلما كان هذا ممكنا؛ دعمًا لأهدافه في كونه موجَّها لفئة معينة من أبنائنا الطلاب والطالبات، وهم الناشئة والشباب. فالغرض أن يستفيدَ منه الصغير والكبير ناشئا وشابا.

ولكي يكون استخدام القاموس يسيرًا على المستفيد منه حرصنا أن نقدم في الصفحات الأخيرة من كل كتاب بيانًا شاملا بمحتواه الذي يعرضُ لجميع المداخل التي يضمُّها الكتاب. وقد رُتبت هذه المداخل ترتيبا ألفبائيّا، ليسهُلَ على المستفيد العثور على موضع المدخل الذي يريد. وسوف يجدُ من خلال هذا البيان: العنوان، ورقم الصفحة التي تحويه.

وإذا ما أراد القارئ البحث عن مفردة ما فعليه أن يسقط أداة التعريف (ال) من المدخل - إن وجدت - حتى يعثر على الحرف الذي يبدأ به المدخل في الترتيب الألفبائي؛ فمفردة مثل (التأويل) يبحث عنها في المدخل المبدوء بالتاء، و(الحساب) يبحث عنها في المدخل المبدوء بالحاء (حساب)، و(الخاتم) يبحث عنها في المدخل المبدوء بالخاء (خاتم). . وهكذا.

التأويل: تبدأ بالتاء (تأويل).

الخاتم : تبدأ بالخاء (خاتم).

الوحي : تبدأ بالواو (وحي).

* * *

* وإذا كان هذا (القاموسُ الإسلاميُّ للناشئينَ والشباب) - فيما نَحسب - محاولةً غير مسبوقة في صياغته وإعداده، وفي الفئة التي أعدَّ من أجلها إعداداً يتناسبُ في مادته ولغته وأسلوب عرضه مع احتياجاتها الفكرية والنفسية والتربوية، فإن مكتبةَ العبيكان ودارَ أراكان اللتين كان لهما فضلُ هذه المحاولة لتؤمنان بأنهما قد خاضتا التجربة بعزم وإصرار؛ مستهدفتين وجه الله، حريصتين على أن توفرا للشباب والناشئينَ مرجعًا ميسَّرا، يكونُ لهم نعْمَ الرفيق في مسيرة حياتهم التعليمية والعملية.

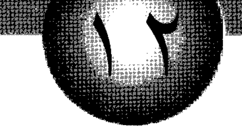
* * *

وإن «**العبيكان**» و«**أراكان**» لترجوان في الوقت نفسه أن تتلقّيا تعليقات السادة المربين وآراءَهم في هذا العمل، أملاً في تطويره في الطبَعات القادمة بإذن الله تعالى.

إن نريدُ إلا الإصلاحَ ما استطعنا، وما توفيقنا إلا بالله، عليه توكلنا وإليه أنبنا. والحمدُ لله أولاً وآخراً..

أسرة تحرير
القاموس الإسلامي





انتشار الإسلام في أوروبا



انتشار الإسلام في الأندلس

تقع شبه جزيرة إيبريا في جنوب غربي القارة الأوربية، وقد أخذ شبه الجزيرة اسمه من الإيبيريين وهم أقدم من سكنها.

ويطلق اسم (إسبانيا) كذلك على شبه الجزيرة ومعناه (شاطئ الأرانب)، ويبدو أن الفينيقيين عندما نزلوا بأرضها وجدوا أسراباً من الأرانب فأطلقوا اسم (إسبانيا) على الأرض، ثم جاء الرومان في القرن الثاني الميلادي، فاستخدموا اسم (إسبانيا) ليعبر عن شبه الجزيرة كلها، ثم خضع جنوب شبه الجزيرة لقبائل الوندال فسميت فنداليسيا، ومن هذا الاسم أطلق العرب لفظة (الأندلس) فيما بعد.

وعندما أتمّ المسلمون فتح الشمال الإفريقي، ورفع راية الإسلام على أرجائه بعد القضاء على الروم ومن ساعدهم من البربر عام ٨٣ هـ/ ٧٠٣ م، لم يبق أمام موسى ابن نصير إلا أن يتجه إلى الشمال ويعبر المضيق لينشر الإسلام في أوربا.

وكان سكان إسبانيا يحكمون مناطق في إفريقية استولى عليها المسلمون خلال تقدمهم في الشمال الإفريقي، كما أن بعضهم كان يقدم العون للروم في صراعهم مع المسلمين، بل قام أهل الأندلس بعدة غارات على سواحل إفريقية التي كانت قد دخلت ديار الإسلام، مما دفع موسى بن نصير للتقدم إلى شبه الجزيرة عبر المضيق ليؤمن ظهر المسلمين، وليحمل الدعوة الإسلامية لتحرير بعض من غلبوا على أمرهم من سكان تلك البلاد.

وأقر الخليفة الأموي- الوليد بن عبد الملك- الخطة التي تقدم بها موسى بن نصير لفتح الأندلس.

عاش المسلمون بالأندلس نحو ثمانية قرون، كانت الأندلس خلال فترة طويلة منها قبلة العلوم ومصدر الازدهار والتقدم، وقد كان العهد الإسلامي في الأندلس بشهادة المؤرخين الأوربيين عهد سماحة وعدل وحكمة، عاش فيه الإسبانيون في أمن ورغد، وكان لهم أن يحتفظوا بشرائعهم وقضاتهم، وعُيِّن لهم حكام من أنفسهم يديرون المقاطعات ويجمعون الضرائب، ويفصلون فيما شجر بينهم من خلاف، وكان التسامح الديني سائداً، واقتصر الأمر على أن يدفع النصارى واليهود وغيرهم من غير المسلمين الجِزْية، وهي مقدار ضئيل يتراوح بين اثني عشر درهماً وثمانية وأربعين درهماً حسب منزلة المُطَالبين.

أما ضريبة الأرض فقد كانت تتفاوت حسب جودتها، ولم تمتد يد المسلمين إلى أملاك الأهلين التي كانت لهم قبل الفتح فيما عدا الإقطاعات.

ولقد فرح العبيد إذ تركهم المسلمون أحراراً بعد أن لاقوا من القوط والرومان الكثير من ضروب العنف والقسوة.

وكان الفتح الإسلامي في جملته نعمةً ورخاء على الأندلسيين المحكومين؛ لأنه أبطل ما كان يملكه كبار النبلاء ورجال الكنيسة من الضياع الواسعة، ورفع عبء الضرائب عن الطبقة الوسطى، واعترف المسيحيون في صراحة أنهم يؤْثرون حكم العرب على حكم الإفرنج أو القوط، واعترف بذلك قساوستهم.

كان الأندلس في أول الأمر جزءاً من إمارة إفريقية وعاصمتها القيروان. وعرف الأندلس في تلك الفترة من قادة الفتح الإسلامي (طريف بن مالك) الذي قاد حملة استطلاعية ونزل بجزيرة في جنوب إسبانيا عام ٩١هـ/ ٧١٠م، وتلاه عبور طارق ابن زياد للمضيق في عام ٩٢هـ/ ٧١١م، ونزل بجيشه على الجبل الذي لا زال يحمل اسمه (جبل طارق).

واستولى طارق بن زياد على قرطبة وغرناطة، وطليطلة التي كانت عاصمة للبلاد. *(انظر طارق بن زياد)*

وأبَى موسى بن نصير إلا أن يكون له شرف الاشتراك الفعلي في الفتح ففتح قرمونة ثم إشبيلية، وسار حتى التقى طارقا في طليطلة، واتجه الرجلان إلى الشمال ففتحا سرقسطة وبرشلونة، وودان لهما إقليما أرغونة وقشتالة، ثم وصلا إلى جبال ألبرت أو (البرانس) شرقاً. وقد صار الأندلس بعد هذه الفتوحات إمارة مستقلة تتبع الحكومة المركزية في دمشق.

(انظر موسى بن نصير)

وتحول الأندلس إلى إمارة مستقلة بعد سقوط الدولة الأموية بدمشق عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، وكان آخر والٍ أموي حكم الأندلس هو يوسف بن عبد الرحمن ابن حبيب الفهري الذي تولى الإمارة عام ١٢٩هـ/ ٧٤٧م، وظل أميراً حتى انتصر عليه عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك المعروف بعبد الرحمن الداخل عام ١٣٨هـ/ ٧٥٦م، وأقام دولة الأمويين بالأندلس التي ظلت تحكم حتى عام ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م.

(انظر يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وعبد الرحمن الداخل)

وكان آخر الخلفاء الأمويين بالأندلس ـ وهو هشام الثاني بن عبد الحكم ـ لا يزال صبياً لم يزد عمره على عشر سنوات، فانتهز وزيره محمد بن عبد الله بن أبي عامر القحطاني الفرصة وسلب هذا الصغير سنّا جميع حقوقه في الخلافة مكتفياً بأن يذكر اسمه في خطبة الجمعة وتضرب النقود باسمه، وصارت إليه وإلى أولاده من بعده خلال الفترة من ٣٦٦-٣٩٩هـ / ٩٧٦-١٠٠٩م، كل أمور الدولة، وعرف ذلك العهد في تاريخ الأندلس بالدولة العامرية.

(انظر محمد بن عبد الله بن أبي عامر)

ومع نهاية الدولة العامرية وضعف الخلافة الأموية بالأندلس ساءت الأحوال، وأصبح الخلفاء دُمًى تحركها القوى المختلفة في فترة امتدت من ٣٩٩-٤٢٢هـ/ ١٠٠٩-١٠٣٠م، عمّت فيها الفوضى، ومهّدَت لقيام عصر ملوك الطوائف من ٤٢٢-٤٨٤هـ/ ١٠٣٠-١٠٩١م، وكان عصراً مملوءاً بالاضطراب والفوضى والتناحر والقَبليَّة، فاستقلّ كثير من الأمراء بمدنهم ومقاطعاتهم، وأصبح في الأندلس نحو عشرين أسرة حاكمة في الوقت الذي كان فيه الفرنجة بقيادة ألفونسو يخططون للقضاء على المسلمين في الأندلس، وكان ذلك سبباً في دعوة دولة المرابطين بالمغرب لإنقاذ مسلمي إسبانيا من الزحف النصراني.

- استنجد المعتمد بن عباد أحد ملوك الطوائف بإشبيلية بالمرابطين في شمال إفريقية لصد هجمات ألفونسو الذي كان قد نجح في الاستيلاء على طليطلة، فحضر يوسف بن تاشفين أمير المرابطين إلى إسبانيا بجيوش جرارة أوقعت بألفونسو هزيمة كبيرة. ونجح يوسف بن تاشفين في تحرير بلنسية، وفك حصار سرقسطة، وعادت للمسلمين السيادة بالجزيرة الخضراء.

ثم عاد يوسف بن تاشفين إلى إسبانيا مرّة أخرى ليقيم بالأندلس، وليوحد الإمارات الإسلامية، وليقضي على النفوذ المسيحي ونفوذ ملوك الطوائف جميعاً. وتمّ له ما أراد.

(انظر يوسف بن تاشفين)

وانتهت دولة المرابطين بالأندلس كما انتهت في إفريقية عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م.

- وفي عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، عادت الأندلس إلى التبعية لدولة الموحدين في الشمال الإفريقي، وانتصر الموحدون على المسيحيين في معركة الإرك ٥٩١هـ/ ١١٩٩، ولكنهم هزموا آخر الأمر في موقعة حصن العقاب عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، وأخيراً تركوا الأندلس عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م.
- وازداد النفوذ المسيحي إثر هزيمة الموحدين واقتصر نفوذ المسلمين على مملكة غرناطة التي حكمها بنو الأحمر قرنين ونصف من الزمان، من عام (٦٣٦هـ-٨٩٣هـ/ ١٢٣٨م-١٤٩١م)، وانتهى حكم بني الأحمر، بل انتهى حكم المسلمين في الأندلس بخيانة آخر ملوك بني الأحمر، أبي عبد الله محمد ٨٧٧- ٨٨٨هـ/ ١٤٧٢-١٤٨٢م، ٨٩٢-٨٧٩هـ/ ١٤٨٦-١٤٩١م الذي سلّم مفاتيح آخر مدينة إسلامية بالأندلس (غرناطة) إلى فرديناند ملك الفرنجة، وكانت نهايته سيئة، فقد هاجر بعد تلك الخيانة إلى إفريقية، حيث أخذ يعيش على الذل والاستجداء.

(انظر أبا عبد الله محمد)

أراغون :

الاسم الذي أطلقه العرب على مملكة أراجون الأسبانية، وتقع في حوض نهر الإبرو. أهم مدنها: سرقسطة، ونزول، وبرشلونة، وطراكونة. وإلى الغرب منها تقع مملكة قشتالة- هذا التحالف الذي أثمر بزواج الملك فرديناند من الملكة إيزابيلا وريثة عرش كاستيل (قشتالة) عام ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م، وانتهى الأمر بالاستيلاء على غرناطة، آخر معاقل الأندلس الإسلامية.

* * *

الإرك: «٥٩١هـ/ ١١٩٥م»:

تقع الإرك إلى الشمال من المدور، وإلى الجنوب الغربي من القصر، على نهر وادي آنة داخل شبه جزيرة إيبريا.

وعندما قامت دولة الموحدين بالمغرب بعد سقوط مدينة مراكش عاصمة المرابطين في الأندلس بدأ حملاتهم على الأندلس.. ولعل من أهم المعارك التي حققّ فيها الموحدون انتصاراً عظيماً ضد المسيحيين في إسبانيا معركة الإرك عام ٥٩١هـ/ ١١٩٥م، وكانت معركة الإرك معركة حاسمة، اضطر بعدها ألفونسو الثامن، ملك قشتالة إلى الفرار بفلول جيشه إلى طليطلة، وهذه المعركة تعدل معركة الزلاّقة في أهميتها بالنسبة لمصير الأندلس الإسلامي، وكان من نتائجها انكسار حِدّة الزحف النصراني على بلاد المسلمين إلى حين.

وكان قائد جيش المسلمين في تلك المعركة أبو يوسف يعقوب المنصور، ثالث خلفاء الموحدين ٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٨.

أشبونة :

اسم أطلقه العرب على ما يعرف باسم لشبونة عاصمة جمهورية البرتغال الحالية، وتقع على مصب نهر التاجه، ويبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة، فتحها المسلمون عام ٩٣هـ/ ٧١١م، وأطلقوا عليها اسم "الأشبونة" ومنه أخذت اسمها الحديث.

دامت (لشبونة) تحت الحكم العربي في إسبانيا ٤٣٦ عاماً حتى استولى عليها ألفونسو الأول عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، وحاول السلطان أبو يعقوب استردادها عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، لكنه فشل في ذلك.

وما زالت لشبونة تحتفظ بكثير من الأسماء العربية مُحرَّفة، مثل القنطرة أو الشاتيرا.

ومن آثارها الإسلامية القلعة العربية، ومسجدها الجامع الذي حوّلهُ ألفونسو الأول إلى كاتدرائية إثر استيلائه على المدينة عام ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م.

* * *

إشبيلية «سفيل»:

إقليم في الجنوب الغربي من إسبانيا، يرويه نهر الوادي الكبير وروافده، تبلغ مساحته ٥٤٢٨ ميلاً مربعاً، وعدد سكانه نحو مليون نسمة، عاصمته وأكبر مدنه إشبيلية، ويبلغ عدد سكانها نحو نصف مليون نسمة، وتقع إلى الجنوب الغربي من قرطبة في شمال قادش، وعلى مسيرة ٦٠ ميلاً من ساحل المحيط الأطلسي.

استولى موسى بن نصير على إشبيلية عام ٩٤هـ/ ٧١٢م، وجعلها عبد العزيز ابن موسى عاصمة له. ونقل العرب العاصمة إلى قرطبة بعد وفاته عام ٩٧هـ/ ٧١٥م.

ازدهرت إشبيلية في عهد عبد الرحمن الثاني الذي شيد مسجدها الكبير الذي تحوّل إلى كاتدرائية بعد سقوط الأندلس، كما شيد بها داراً للصناعة، وسوراً حصيناً، ثم أقام بها بنو عباد مملكة مستقلة، ومنذ عام ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م أصبحت حاضرة للعلوم والفنون، ثم ضمها المرابطون عام ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، ثم دخلت إشبيلية تحت حكم الموحدين عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م. ومن الآثار الباقية لهذا العهد قصر السلطان الذي يعرف بالكازار.

سقطت إشبيلية في يد الأسبان على يد فرديناند الثالث عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٣م، وينسب إليها الفيلسوف ابن رشد، والفقيه أبو بكر بن العربي والشاعر ابن هانئ الأندلسي وغيرهم.

برشلونة:

ميناء على الساحل الجنوبي الشرقي لشبه جزيرة إيبريا، تقع جنوبي جبال ألبرت (البرانس) وتطل على بحر الروم (البحر المتوسط)، وتقع في منطقة قطلونية إلى الشرق من مصب نهر الربرقاط، وهي ميناء أسباني نشط في الوقت الحاضر.

كان لبرشلونة أثر مهم في تاريخ العصر الإسلامي بالأندلس، وكانت مركز اهتمام القادة من مسلمين ونصارى بسبب ما يمكن أن ينشأ عن إخضاعها من تهديد للوجود الإسلامي في الأندلس بالهجمات الآتية من الشمال والجنوب والشرق، فضلاً عن أهميتها بصفتها قاعدة لحماية النشاط البحري للمسلمين في بحر الروم.

أخضع المسلمون برشلونة، وكان يعين لها حكام مسلمون، وفي عهد عبدالرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٥-٧٨٨م) دخلت جيوش شارلمان القادمة من الشمال - من فرنسا - إسبانيا بغرض فرض سيطرة الإمبراطورية الرومانية الألمانية على إسبانيا، وطرد المسلمين منها، لكن عبد الرحمن الداخل تصدى له فرجع إلى بلاده، ولكنه نجح في أن يجعل من برشلونة قاعدة له في منطقة قطلونية، وأصبح الثغر الأسباني (برشلونة) جزءاً من مملكة الفرنجة داخلاً في الأندلس في عام ١٦٩هـ/ ٧٨٥م.

وجرّد محمد بن عبد الله بن أبي عامر القحطاني مؤسس الدولة العامرية بالأندلس ٣٣٦هـ/ ٣٩٩هـ/ ٩٤٨-١٠٠٨م، حملة لفتح برشلونة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، فقتل ملكها بورل، وسبى أهلها وخرّبها، وغنم منها غنائم كثيرة من عبيد وسلاح ومالٍ وخدم وثياب وبهائم، ورجع إلى قرطبة غانماً ظافراً.

(انظر محمد بن عبد الله بن أبي عامر القحطاني)

* * *

بلنسية «٦٣٦هـ/١٢٣٨م»:

تقع بلنسية على الساحل الشرقي لشبه جزيرة إيبريا مواجهة للجزائر الشرقية (ميورقة ومنورقة.. إلخ)، وهي ميناء عند مصب نهر توريه.

كان الموحدون قد تركوا الأندلس عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م، عندما ضعفت دولتهم وتبددت قوتهم، وفي الوقت نفسه كانت الممالك المسيحية في إسبانيا قد أخذت تتوحد للقضاء على وجود المسلمين في الأندلس.

وفي عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م، تمكن ملك أرغون (جاقمه الأول) من احتلال مدينة بلنسية وإقليمها الواسع، وكان ذلك الاحتلال بداية لتقلص الدولة الإسلامية في الأندلس.

* * *

جبل طارق:

رأس صخري يقع في الطرف الجنوبي لشبه جزيرة إيبريا، وقد أخذ اسمه من اسم طارق بن زياد الذي عبر البحر عند هذه الصخرة بجيوش المسلمين عام ٩٢هـ/ ٧١١م.

يبلغ طول هذا الرأس الصخري ثلاثة أميال، ويفصله عن إسبانيا مخاضة رملية تبلغ نحو خمسة كيلومترات تقع على حافتها قرية لالينا الإسبانية التي يعمل معظم أهلها في جبل طارق فينتقلون إليها في الصباح، ويعودون إلى بيوتهم في المساء، وجبل طارق اليوم ميناء حُرّة تزخر بالنشاطات التجارية.

يبلغ عرض الرأس الصخري ثلاثة أرباع الميل وأعلى ارتفاع لها ٤٢٠ متراً ويتحرر سطحها الغربي لِيكَون الشاطئ الشرقي لخليج الجزيرة الخضراء (الجِزَيْرَس).

وجبل طارق من الناحية السياسية مستعمرة بريطانية استولت عليها بريطانيا في حربها مع إسبانيا عام ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م، وتسعى إسبانيا في الوقت الحاضر إلى استردادها لتعود إلى شبه الجزيرة الأم.

* * *

جزيرة طريف «٩١هـ/ ٧٠٩م» :

تقع طريف عند الرأس الصغير الداخل في البحر جنوب الأندلس، ولازالت طريف تحمل اسمها حتى اليوم، وهي بلد جميل في محافظة قادش، وقد أخذت طريف اسمها من اسم أول قائد عربي ينزل بجيشه المسلم على أرض الأندلس للاستكشاف والاستطلاع، طريف بن زرعة بن أبي مدرك، الذي عبر المضيق عام ٩١هـ/ ٧٠٩م بعد أن حصل موسى بن نصير والي ولاية إفريقية وعاصمتها القيروان على إذن من الخليفة الأموي، الوليد بن عبد الملك، بالسير إلى الأندلس.

وحمل جيش طريف الذي كان يتألف من خمسمائة من الخيالة والرجّالة أربع سفن أمدّ المسلمين بها الكونت جوليان حاكم سبتة. وسبتة مدينة على الساحل الإفريقي تقابل المضيق، ولا زالت إسبانيا تحتلها حتى الوقت الحاضر رغم ارتباطها بالتراب المغربي.

ولم يجد طريف بن زرعة مقاومة تذكر، وعاد بغنائم كثيرة يشجع أمير القيروان على التقدم نحو الأرض الخضراء.

غير أن جزيرة طريف التي شهدت انتصار طريف بن زرعة الذي قدم إليها في القرن الأول الهجري، قُدرَ لها كذلك أن تشهد فصلاً من فصول انحسار الإسلام عن الأندلس؛ فقد شهدت طريف هزيمة قوات بني الأحمر وقوات من بني وطاس حلفاء المرينيين في ٢٤ من ربيع الثاني ٧٤٠هـ/ ٣٠ من سبتمبر ١٣٣٩م، في موقعة تُعدُّ آخر المواقع الإسلامية الكبرى في الأندلس على يد ألفونسو الحادي عشر وحلفائه من الأرغونيين، والتي على إثرها استولى الإسبان على مدينة طريف،

وأعقبوا ذلك بالاستيلاء على جبل طارق، فقطعوا على بني مرين وبقية أهل المغرب الطريق لعون غرناطة وأصبح مصيرها مسألة وقت.

* * *

جليقية:

منطقة جبلية تقع في أقصى الشمال الغربي من شبه جزيرة إيبريا، وتطل على خليج بسكاي شرقاً، وعلى بحر الظلمات المحيط الأطلسي من الغرب.

ويلاحظ أن الفاتحين المسلمين الأوائل لشبه جزيرة إيبريا لم يعيروا اهتماماً كبيراً لإخضاع تلك المنطقة، فكانت مأوًى لجيوش القوط الفارّة أمام الزحف الإسلامي، فقد استصغر موسى بن نصير شأن هذه المنطقة، وكان يأمل بدلاً من ذلك أن يدين له جنوب أوربا، وأن يستمر في زحفه حتى يصل إلى فتح القسطنطينية من جهة الغرب بعد أن عجز حصار المسلمين لها عن فتحها من الشرق.

وكان إهمال منطقة جليقية عاملاً خطيراً من العوامل التي أسهمت في سقوط الأندلس في يد المسيحيين آخر الأمر. فقد كانت جليقية بمثابة حصن يُرَبَّى فيه المقاتلون من الفرنجة، ثم خرجوا فيما بعد بقوتهم ودهائهم فوسعوا الخلاف بين فرق المسلمين، وظلوّا يزحفون حتى استولوا على الأندلس بعد صراع طويل امتد نحو ثمانية قرون.

ومع ذلك فقد كانت هناك مواقف جريئة لبعض الأمراء في تأديب المعتدين من جليقية، فها هو هشام بن عبد الرحمن الداخل يقود بنفسه معركة ضد مسيحيي جليقية في عام ١٧٩هـ/ ٧٩٥م، ويحرز نصراً مؤزراً في المعركة.

الزّلاقة «٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م»:

الزّلاقة موقع بقلب شبه جزيرة إيبريا يقع إلى الشمال من قرطبة، وإلى الشرق من ماردة قرب بطليوس على نهر الوديانة.

وكان المعتمد بن العباد حاكم إشبيلية قد أحسّ بخطر الزحف المسيحي يقترب منه بعد أن سقطت طليطلة في يد ألفونسو السادس عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، فقرر الاستعانة بحكام الشمال الإفريقي، وكانوا في ذلك الوقت من المرابطين.

وكان أمير المرابطين في ذلك الوقت يوسف بن تاشفين، حيث سارع بالاستجابة لنجدة مسلمي الأندلس، فزحف إلى إسبانيا بجيش جرار، وأوقع بألفونسو وجيشه هزيمة كبيرة في موقعة الزّلاقة عام ٤٧٩هـ.

كان ألفونسو وسط جيش يضم ٥٠,٠٠٠ جندي من جنوده.

وكان من نتائج موقعة الزّلاقة أن استرد المسلمون بلنسية على الساحل الشرقي من شبه الجزيرة، وفكوا حصار سرقسطة في الشمال الشرقي لشبه الجزيرة، وعادت لهم السيادة على الجزيرة الخضراء قرب مضيق جبل طارق.

* * *

شريش أو وادي لكة «٩٢هـ/ ٧١١م»:

تبعث هذه الموقعة ذاكرة أبناء المسلمين اليوم حول الجهاد الذي قام به الأجداد من قادة وأجناد المسلمين منذ ثلاثة عشر قرناً مضت، عندما خرجت جيوش طارق ابن زياد لفتح الأندلس موفداً من قبل القائد الإسلامي العظيم موسى بن نصير، أمير القيراون، بعد أن استأذن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في دمشق لتسيير الجيش، وقدّم له من الأسباب ما يشجع على القيام بالمهام.

كان أهل الأندلس يقومون بغارات متكررة على الساحل الإفريقي وكانوا يقدمون للروم الذين كانوا يحتلون قرطاجنة - في ولاية إفريقية/ تونس - ويحتلون سواها من مدن الساحل الإفريقي العون المادي والعسكري بأمل كسر شوكة الإسلام، وكانت المعارك تتخذ صبغة دينية حيث كان خصوم الإسلام يحملون الصليب.

أما عند شبه جزيرة إيبريا - إسبانيا والأندلس - فكان الروم قد احتلوا شبه الجزيرة في عام ١٣٣م، وكان تحت حكمهم عدد كبير من اليهود الذين كانوا يتضجرون من حكم الرومان، وفوق ذلك فقد تعرضت شبه الجزيرة لغزوات أجناس عديدة، منهم الوندال في أوائل القرن الخامس الميلادي، والقوط في أوائل القرن السادس. وهؤلاء الأخيرون طردوا الوندال إلى الساحل الإفريقي.

وكان هناك شيء من عدم الرضا وعدم التجانس بين سكان شبه الجزيرة، كما كان هناك نزاع دائم بين الأمراء، هذا إلى جانب وجود خلاف بين الكونت جوليان حاكم سبتة على الجانب الإفريقي من قبل القوط، ولذريق ملك القوط على شبه الجزيرة.

جاءت موافقة الخليفة الوليد، وخرج طارق بن زياد على رأس جيش قوامه ٧٠٠٠ مقاتل، أكثرهم من البربر المسلمين، وعبَر المضيق (مضيق جبل طارق) على سفن أعدّها له الكونت جوليان حاكم سبتة - وكان قد أعد مثلها للقائد المسلم

طريف بن زرعة بن مدرك ـ في حملة استكشافية قبل ذلك بوقت قصير . وعبَر طارق المضيق في رجب من عام٩٢هـ/ يونيو ٧١١م، ونزل في الجبل الذي سُمِّي باسمه، على رأس المضيق الذي يفصل بين بحر الروم (البحر المتوسط) وبحر الظلمات (المحيط الأطلسي)، وقال قولته الشهيرة :

« أيها الناس، أين المفرّ؟ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر » .

وعرف لذريق أو (الأدرينوق) بخبر وصول الجيش المسلم فأعدّ جيشاً كثيفاً قوامه ١٠٠٠٠٠ جندي كانوا من العبيد والمستضعفين، بل كان من بينهم أعداء كثيرون للذريق، وطلب طارق المدد من موسى بن نصير، فأرسل له ٥٠٠٠ جندي، وتقابل الجيشان في شريش أو (وادي لكة)، وهو سهل واسع جرت فيه سلسلة من المعارك بين جيش طارق وبين الجيش القوطي، واستمرت المعارك مدة أسبوع أو أسبوعين تحطمت فيها قوة الجيش القوطي، وتشتت ذلك الجيش، ولم يعثر للذريق على أثر .

واتجه طارق بن زياد بعد المعركة بجيشه نحو طليطلة عاصمة القوط، فدخلها وفتح أمامه الأندلس .

* * *

طليطلة «٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م»:

طليطلة مدينة في قلب شبه جزيرة إيبريا واسمها بالإسبانية توليدو، وتقع طليطلة على نهر تاجه .

وقد كانت طليطلة ولاية إسلامية، وكان عليها سليمان بن عبد الرحمن الداخل منذ عهد أبيه مؤسس الدولة الأموية بالأندلس .

وفي عصر ملوك الطوائف حين تمزقت الدولة الإسلامية بالأندلس إلى إمارات صغيرة كان ألفونسو السادس قد نجح في أن يوحد تحت إمرته إمارات استورياس، وليون (في أقصى شمال شبه الجزيرة)، وقشتالة فيما عرف بمملكة قشتالة وليون التي كانت تضم جليقية أيضاً.

وكان ألفونسو السادس يستولي على الحصون الإسلامية واحداً إثر آخر، وقد وثب ألفونسو على طليطلة عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، فأحدث بذلك فزعاً كبيراً في صفوف المسلمين، ودخلت طليطلة بذلك ضمن مملكة قشتالة وليون.

وكان من نتائج سقوط طليطلة أن تنبه المسلمون إلى أهمية الاستنجاد بالمرابطين في المغرب لإنقاذ إسبانيا من الزحف المسيحي.

* * *

العقاب «٦٠٩/ ١٢١٢م»:

كان ألفونسو الثاني ملك قشتالة منذ هزيمته في موقعة الإرك عام ٥٩١هـ/ ١١٩٥م قد ملكه الخوف، فاستعان بالبابوية، وأخذ يتأهب للأخذ بثأره، وتمكن من ذلك فجمع حشوداً عظيمة، وسار للقاء الموحدين.

وجمع محمد الناصر الموحدي أقصى ما استطاع جمعه من الجنود والعُدَّة، وسار للقاء ألفونسو.. وكان في جيش الموحدين مَن لم يتعودوا الحربَ الضارية بين المسلمين والنصارى في الأندلس.

وكان اللقاء في العقاب وهي موضع إلى الجنوب الشرقي من قسطلونة، هزم فيه الموحدون وَحُصِدَتْ فيه زهرة مقاتلي مصمودة وأحلافهم من العرب الهلالية وبني مرين في ١٥ من صفر ٦٠٩هـ/ ١٧ من يوليو ١٢١٢م.

وتُعدّ هذه المعركة من المعارك الفاصلة في تاريخ الأندلس، فقد انحسرت بعدها حدوده إلى حوض نهر الوادي الكبير.

* * *

تقع غرناطة في جنوبي شبه جزيرة إيبريا إلى الشمال الشرقي من ملقا، وتعرف غرناطة في اللغة الأسبانية باسم جرانادا.

قامت في غرناطة دولة مسلمة عمّرت ثلاثة قرون ٢٦٨ سنة على وجه التحديد، في وقت كانت القواعد الإسلامية الكبرى في الأندلس قد تهاوت ولم يبق للمسلمين فيها غير مملكة غرناطة.

نجح محمد بن يوسف بن أحمد بن نصر مؤسس دولة بني الأحمر في تجميع بقايا المسلمين بالأندلس، وتحصن في غرناطة على الطرف الغربي لجبال الثلج في آخر رمضان عام ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م، في وقت اشتد فيه ضغط الحملات المسيحية على المسلمين، وهوت فيه كثير من الممالك الإسلامية بالأندلس.

وكان محمد بن نصر بن الأحمر ذكيا نشيطاً عرف كيف يؤسس دولته شيئاً فشيئاً، وقد هاجر في عهده عدد كبير من الصناع إلى غرناطة فأصبحت مدينة كبيرة عامرة.

وكان محمد بن نصر على صلة طيبة بملك قشتالة، واستطاع أن يضم إلى مملكته أرض الجزيرة الخضراء وجبل طارق.

وابتُليت دولة بني الأحمر في آخر عهدها بالخلافات المتصلة على العرش والسلطان بين أفراد الأسرة ومنافسيهم، رغم مساندة دولة بني مرين المغربية لها للحفاظ على غرناطة.

وخلف ملوك بني نصر آثاراً تُعدّ من أعظم معالم الفن في إسبانيا، بل في أوربا، ومنها قصر الحمراء.

وأخيراً سقطت غرناطة في أيدي مملكة قشتالة و ليون عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م.

وأخلّ ملوك إسبانيا بالمعاهدة التي وقعها فرناندو و إيزابيلا والتي كانت تنصّ على أن تكون لمن يبقى من المسلمين حريتهم الدينية وأملاكهم، لكن الاضطهاد المرير بدأ بعد سنوات قليلة، وبلغ الأمر حدّ حرق المسلمين ومصادرة أموالهم. واستولى فيليب الثالث ١٠١٨-١٠٢٣هـ/ ١٦٠٩-١٦١٤م على أموال من يُقَدَّرون بخمسة ملايين مسلم، وطردهم بصورة غير إنسانية من إسبانيا، بمهلة لم تزد على ثلاثة أيام، وكثيرٌ منهم لم يصلوا إلى الشاطئ الآخر وابتلعهم اليمُّ.

وهكذا اختفى الوجود الإسلامي من إسبانيا في مطلع القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي.

* شخصيات أثرت في تاريخ الإسلام في الأندلس:

ابن حفصون «٢٩٩هـ/ ٩١١م»:

يرجع بنسبه إلى أسر النبلاء الأسبان، وقد ظهر ابن حفصون في عصر كانت الدولة الإسلامية بالأندلس تعاني فيه تفكك الدولة إلى دويلات شبه مستقلة عن الحكم الأموي، وذلك قبل أن يتولى عبد الرحمن الناصر الحكم.

كان ابن حفصون يعمل في الجيش الأموي بقرطبة، وكان مسلماً أو على الأقل كان يتظاهر بالإسلام، ولقد ثار ابن حفصون في وجه حكام قرطبة، وانضم له كثيرون من الإسبان المسلمين والنصارى الحانقين على حكم العرب، وحارب جيش الخلافة، وانتصر عليه عدة مرات وأصبح بذلك زعيماً للمقاطعة الجنوبية من الأندلس، واتخذ حصن ببشتر مركزاً له.

وأراد ابن حفصون أن يحقق نصراً سياسيا فاتصل بالعباسيين وعمالهم الأغالبة على إفريقية آملاً أن يحظى بتعيينه أميراً للأندلس، ولكن خاب مسعاه.

وأعلن ابن حفصون ارتداده عن الإسلام إلى النصرانية عام ٢٩٩هـ/ ٩١١م، وأحس المسلمون بخطره وعدّه الأسبان الحامي الذي يذود عن الوطن المنكوب.

ودارت بين ابن حفصون وبين عبد الرحمن الناصر - أول من حمل لقب أمير المؤمنين من الأمراء الأمويين في الأندلس - معارك شديدة انتصر عبد الرحمن في أكثرها، حتى تقلص سلطان ابن حفصون إلى قلعته الجبلية ببشتر، حيث مات عام ٣٠٥هـ/ ٩١٧م، وسلّمَ أولاده قلعة ببشتر لعبد الرحمن الناصر، وعادت الأندلس موحدة تدين بالولاء لأعظم الملوك الأمويين.

أبو عبد الله محمد «آخر ملوك بني الأحمر»:
«٨٧٧-٨٨٨هـ/ ١٤٧٢ - ١٤٨٣م»

تعرض الموحدون في الأندلس لهجمات متكررة من المسيحيين عقب هزيمتهم في موقعة حصن العقاب عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، فهان أمرهم، وتعرضوا لهجمات أشد من المسيحيين ومن المنافسين من المسلمين حتى تبددت قوتهم، وتركوا الأندلس عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م.

وتعرضت الإمارات والمدن الإسلامية عقب جلاء الموحدين عن الأندلس لزحف سريع لم يكن يتوقف إلا لتبدأ جولة أخرى من الهجمات. وخلال سنين قليلة اكتسح المسيحيون أكثر البقاع الإسلامية، فاحتل فرديناند الثالث، ملك قشتالة وجليم الأول، ملك أراجون ـ مدن بلنسية وقرطبة ومرسية عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م، ومدينة أشبيلية عام ٦٤٦هـ.

وأصبح ملك المسلمين محصوراً في غرناطة تلك المقاطعة التي كانت تقع بين جبال نيفادا ـ جبال الثلوج كما كان يسميها العرب ـ وساحل البحر المتوسط.

وبدأ ملك بني الأحمر في غرناطة عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م، واستمر قرنين ونصف القرن من الزمان، قدَّم فيها الجند المسلمون الوافدون من الممالك الإسلامية التي سقطت إلى غرناطة ـ وهي الرقعة الإسلامية الوحيدة التي بقيت إذ ذاك للمسلمين بالأندلس ـ سواعدَهم وسيوفَهم لحماية ما بقي للمسلمين هناك.

وكان مؤسس دولة بني الأحمر محمد الأول الغالب بن الأحمر ـ عام ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م ـ رجلاً بصيراً بالأمر؛ أحسن سياسة رَعيَّته، مما أطال عمر تلك

الدولة. وساعد على إطالة عمرها أيضاً انشغال ملوك الفرنجة بتنظيم ما فتحوه من ممالك كانت تحت سلطة حكم المسلمين.

ولن يغفر التاريخ لآخر ملوك هذه الأسرة، أبي عبد الله محمد ٨٧٧-٨٨٨هـ/ ١٤٧٢-١٤٨٢م، ٨٩٢-٨٧٩هـ/ ١٤٨٦-١٤٩١م - خيانته للدعوة الإسلامية؛ تحقيقاً لأطماع شخصية لم ينل منها شيئاً؛ فقد تعاون مع فرديناند ملك قشتالة وزوجته إيزابيلا لإسقاط عمه محمد بن سعد المعروف بالزغل ٨٩٠-٨٩٢/ ١٤٨٤-١٤٨٦م، طمعاً في الاحتفاظ بالحكم لنفسه، وكانت جيوش أبي عبد الله محمد (الخائن) تتصدى لجيوش عمه كلما اتجهت تلك الجيوش للدفاع عن حصون المسلمين وبلادهم. ولما تم النصر للمسيحيين على عمه محمد بن سعد الزغل ارتكب أبشع حماقة حينما بعث يهنئ فرديناند بالنصر.

واضطر أبو عبد الله محمد (الخائن) آخر الأمر أن يسلم مفاتيح غرناطة آخر مدينة إسلامية بالأندلس لفرديناند عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م. وهاجر بعدها إلى إفريقية حيث أخذ يقضي باقي حياته على التسول والاستجداء.

* * *

السمح الخولاني:

السادس من ولاة الأندلس إبّان الخلافة الأموية بالشام، وهو السمح بن مالك الخولاني، نسبة إلى بني خولان من قضاعة، ولاه عليها عمر بن عبد العزيز عام ١٠٠هـ/ ٧١٨م، خلفاً للحرّ الثقفي الذي أعفاه عمر لشدَّة عرفت عنه، وكانت ولاية الأندلس حتى ذلك التاريخ تابعة لأمير إفريقية، فَهَوَ الذي كان يعين والي الأندلس من قِبَلِه، ثم يُقِرُّه الخليفة.

جاء السمح إلى الأندلس في رمضان ١٠٠هـ/ أبريل ٧١٩م، فانصرف من فوره إلى فض الخلافات بين طوائف العرب والقضاء على الفتن، وأدار البلاد بحكمة وبصيرة، كما عُني بالتنظيم المالي فمسح جميع الأراضي الزراعية التي ملكها المسلمون، وفرض عليها الخراج، وإليه تنسب قنطرة قرطبة على نهر الوادي الكبيرة والتي عرفت باسم (قنطرة الدهر) أو (الجسر)، وقد أقامها على الأكتاف الرومانية القديمة، طولها ٨٠ ذراعاً، وعرضها ٢٠ ذراعاً، وارتفاعها ٦٠ ذراعاً، ولها ١٨ قوساً.

واستعد السمح لاستئناف الغزو وراء جبال البرانس في مقاطعة لانجدوك الفرنسية، وكان قد بدأه الحر الثقفي فعبر البرانس عند (روسيون) واستعاد (أربونة) بعد حصار دام ٢٨ يوماً، ثم قام بتحصينها، كما استعاد (قرقسونة) وغيرها من مدن الإقليم، وأقام بها حكومات إسلامية.

ووزع الأراضي بين العرب والسكان، وفرض الجزية على النصارى، وترك لهم حرية الاحتكام إلى شرائعهم.

واتجه السمح صوب الشرق إلى تولوز عاصمة إقليم (كونيه، وقُرب أسوارها التقى جيشاً يقوده الدوق أوتو، جمع فيه قوات من الفرنج والقوط والبشنكس، وفي قلب المعركة سقط السمح من فوق جواده صريعاً، فكان ذلك سبباً في اختلال صفوف رجاله، مما اضطرهم إلى الارتداد عنها. جرت المعركة في التاسع من شهر يوليو عام ٧٢١م/ التاسع من ذي الحجة عام ١٠٢هـ، وهي التي عرفت باسم موقعة البلاط، وخلفه على القيادة عبد الرحمن الغافقي.

طارق بن زياد:

هو طارق بن زياد بن عبد الله زعيم البربر وقائد جيش المسلمين في فتح الأندلس.

كان طارق قائداً للجيش الذي أنفْذَهَ موسى بن نصير لفتح الأندلس على رأس ٧٠٠٠ مقاتل جُلُّهم من البربر، وعبر طارق ورجاله المضيق بالسفن التي زوده بها الكونت جوليان حاكم سبتة في رجب ٩٢هـ/ أبريل - مايو ٧١١م، وأصبح المضيق يُعْرَفُ باسمه (مضيق جبل طارق)، واستولى طارق على قرطاية والجبل الأخضر، وحشد الملك القوطي لذريق أو (رودريك) جيشاً عظيماً لمواجهة طارق. وجاءت النجدة متمثلة في ٥٠٠٠ رجل من البربر، بعث بهم موسى بن نصير إلى طارق، ووقعت المعركة الفاصلة بين المسلمين والقوط عند مصب وادي لكة على شواطئ بحيرة الخندق.

وحضر موسى بن نصير إلى الأندلس في مستهل صيف ٩٧هـ/ ٧١٢م، بجيش يبلغ أكثر من ١٠٠٠٠ مقاتل، بينهم الكثيرون من العرب المشهورين، وفتح هذا الجيش مدينة شذونة، (قرمونة)، ثم حاصر إشبيلية، وحاصر ماردة بعد ذلك بضعة أشهر، لكنها ثبتت للحصار سنة كاملة، ثم استسلمت.

وتقدم موسى بن نصير صوب طليطلة، ولحق بطارق الذي كان قد أنفذ ثلاث سرايا للاستيلاء على قرطبة وأرشذونة وألبيرة، وسرعان ما بلغ جيش المسلمين سرقسطة ومرتفعات أرغون وليون وأشتورش وجليقية.

وعندما عاد موسى بن نصير مع طارق ليبلغا الخليفة بنبأ انتصاراتهما كانت الأندلس قد بلغت تقريباً أقصى حدودها الجغرافية.

استطاع عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (عبد الرحمن الداخل) الذي فرّ إلى الشمال الإفريقي أثناء المذابح التي جرت مع قيام الدولة العباسية، وكان جده هشام ابن عبد الملك عاشر الخلفاء الأمويين (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٣-٧٤٢م)، استطاع عبدالرحمن هذا أن يصل إلى ولاية الأندلس عام ١٣٨هـ/ ٧٥٦م، وعرف اسمه عند ذاك بعبد الرحمن الداخل. ويطلق على الدولة التي أسسها بالأندلس الدولة الأموية بالأندلس ١٣٨هـ-٣٩٩هـ/ ٧٥٥-١٠٠٩م.

وكان علَى عبد الرحمن الداخل أن يتصدى لقوات العباسيين التي تجمعت بقيادة العلاء بن المغيث لقتاله وإقصائه عن الحكم عام ١٤٦هـ/ ٧٦٣م، وقتل العلاء مع كثيرين من أتباعه في تلك المعركة، وقام عبد الرحمن الداخل بإرسال رءوس الكثير من القتلى إلى القيروان ومكةّ، فألقيت في أسواقها سِرّا، ومعها اللواء الأسود شعار العباسيين.

كما حاول بعض العرب الموتورين أن يتآمروا مع شارلمان ملك فرنسا ضد عبدالرحمن الداخل للقضاء عليه، لكن عبد الرحمن قضى على الجيوش التي جهزها هؤلاء المتآمرون، بعد أن كبّدها خسائر فادحة.

وكوّن عبد الرحمن الداخل لبني أمية بالأندلس ملكاً توارثه أبناؤه وأحفاده استمر نحو ثلاثة قرون. وكان يطلق على الحاكم لقب خليفة ابتداءً من حكم عبدالرحمن الناصر بالمنشور الذي أصدره عام ٣١٧هـ، وفيه يقول: «وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك . .

وكان هذا اللقب حقّا أضعناه واسماً ثابتاً أسقطناه» . أما من سبقه من الحكام في هذه الدولة بدءاً بعبد الرحمن الداخل ١٣٨هـ/ ٧٥٥م، وحتى عبد الله بن محمد الذي تولى الإمارة في ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م، فكانوا يقنعون بلقب أمير .

حرص عبد الرحمن الداخل على أن يضيف إلى الأعمال العظيمة التي قام بها في تحقيق الأمن لإمارته إسهاماً كبيراً في خدمة الحضارة والثقافة وتشهد له آثار مدينة قرطبة ومسجده العظيم بإنجازاته الكبيرة .

(انظر قرطبة)

ويُروى أن أبا جعفر المنصور قال لأصحابه يوماً :

أخبروني عن صقر قريش! ولما عجز ندماؤه عن الإجابة المطلوبة قال لهم :

«إنه عبد الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر، وقطع القفر، ودخل بلداً أعجميا مفرداً، فمَصَّرَ الأمصار، وجَنّدَ الأجناد، ودوّن الدواوين، وأقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدَّة شكيمته» .

وهكذا فقد كسب عبد الرحمن الداخل احترام وتقدير أعداء الأمويين الذين أقاموا خلافتهم على أنقاض الدولة الأموية .

* * *

محمد بن عبد الله بن أبي عامر القحطاني :

عاش محمد بن عبد الله بن أبي عامر القحطاني على أنه طالب علم في جامعة قرطبة في وقت كان الأندلس فيه ينعم بأزهى عصوره الذهبية تحت راية الإسلام ،

وذلك هو عصر عبد الرحمن الناصر الذي بلغت فيه الخلافة الأموية بالأندلس ذروة القوة العسكرية، حيث كانت البلاد تجني ثمار الانتصارات الكبيرة التي حققها ذلك البطل الكبير الذي ظهر كشعلة انبثقت في الظلام الحالك خلال الفترة ٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م، حتى قال عنه ابن خلدون إنه:

«أوطأ عساكر المسلمين من بلاد الإفرنج ما لم يطأه العسكر في أيام سلفه، ومدت له أمم النصرانية من وراء الدروب يد الإذعان، وأوفدوا إليه رسلهم من رومة ومن القسطنطينية على سبيل المهادنة والسلم .. وصل إلى سدته ملوك الجلالقة من أهل جزر الأندلس المتاخمين لبلاد المسلمين فقبلوا يده، والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مركبه .. هذا إلى جانب الدور الكبير الذي قام به في خدمة الحضارة الإسلامية والعمران بالأندلس».

وهكذا كان العصر الذي عاشه محمد بن عبد الله بن أبي عامر عصر أعمال عظيمة وبطولات.

وكان ابن أبي عامر ذكيا، ظاهر التفوق على أقرانه ومعاصريه، طموحاً يتطلع إلى دور كبير يقوم به يرفعه إلى مصافّ بطولات عصره.

وكانت البداية العملية في حياة ابن أبي عامر بداية متواضعة، فقد افتتح دُكّاناً بجوار قصر الخلافة كان يكتب فيه للناس شكاواهم .. وتمكن عن طريق صلاته ببعض خدم القصر أن يكسب ثقة السيدة صبح، زوج الخليفة الحكَم المستنصر، الذي خلف أباه الناصر خلال الفترة ٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م، فأوصت زوجها الخليفة الحكم به فولاّه قضاء بعض النواحي، ثم وصل إلى كرسي

الوزارة، وتزوج ابن أبي عامر من ابنة قائد الجيش، غالب بن عبد الرحمن، ثم تمكن من شغل وظيفة الحجابة في قصر الخلافة.

وعندما تُوُفِّي الخليفة الحكم المستنصر عام ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م، وكان ابنه هشام لازال حدثاً- دانت الأمور لابن أبي عامر فصارت بيده كل أمور الدولة، وجلس على سرير الملك، وأمر بأن يُحَيَّا بتحية الملوك، وتَسمّى بلقب الحاجب المنصور، وكانت الكتب والرسائل والمخاطبات والأوامر تصدر باسمه، وأمر بالدعاء له على المنابر عقب الدعاء للخليفة.

غزا محمد بن أبي عامر بلاد الروم، وفتح الله علي يديه برشلونة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، وقتل ملكها بورل، وسبى أهلها، وخربها وغنم منها غنائم كثيرة من عبيد وخدم، واحتل مدينة شنت ياقب في حملته إلى جليقية عام ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م، وغزا ليون وسهاجوت واحتلهما ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م، ودانت له أقاصي بلاد الشرك.

وقد أوفد إليه إمبراطور القسطنطينية بازل الثاني رسولاً خاصّاً، كما أوفد له أوتون الثالث ملك إيطاليا والمانيا والإمبراطورية الرومانية رسلاً يحملون الهدايا.

كان ابن أبي عامر خلال الفترة التي حكم فيها البلاد باسم الخلافة (٣٦٧-٣٩٢هـ/ ٩٧٧-١٠٠٢م) يتولى الغزو بنفسه، ولم يهزم قطّ في خمسين غزوة غزاها طوال حكمه البالغ ٢٥ عاماً، وكان يُعدّ قائداً من الطراز الأول، ما رأى أسبان الشمال هزائم ولا مَذَلّةً مثل هزائمهم على يديه، فقد دمر مدنهم الكبيرة ووصل إلى أقصى الركن الشمالي الغربي من إسبانيا، حيث بلدة القديس يعقوب التي هدمها. وكان محبوباً لدى المسلمين فقد ردّ إليهم كرامتهم، وتوفي عام ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م.

وقد خلفه ابنه عبد الملك الذي ظلّ في سلطانه ٧ سنوات، وكان كأبيه كفاءة ومقدرة، حتى توفي عام ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م.

ثم تولى ابنه الثاني عبد الرحمن بعد موت أخيه فأرغم الخليفة على أن يعهد إليه بولاية العهد، فثار عليه العرب، وانفضَّ جُنده من حوله، فقتله بعض منافسيه وبموته انتهت الدولة العامرية.

* * *

محمد بن يوسف بن هود:

محمد بن يوسف بن هود أبو عبد الله من أعقاب بني هود الجذاميين، من ملوك الطوائف بالأندلس، وهو آخر ملوك هذه الدولة الكبار، كان أول أمره من الأجناد مقيماً في سرقسطة، ولما ظهر الخلل في دولة الموحدين ثار عليهم بالصخيرات وتلقب بالمتوكل على الله عام ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م، فقاتله والي مرسية، وكان من بني عبد المؤمن بن علي من الموحدين فظفر به ابن هود ودخل مرسية. وخطب باسم الخليفة المستنصر العباسي ببغداد وقاتله والي شاطبه، ففاز ابن هود، فزحف عليه المأمون إدريس بن يعقوب، فتقهقر ابن هود واعتصم بمرسية، فحاصره المأمون مدة وعجز عن فتحها فرحل.

وعظم أمر ابن هود فبايعه أهل شاطبة وقرطبة وإشبيلية واستولى على الجزيرة الخضراء وجبل الفتح، بينما كانت تجيئه كتب الخليفة العباسي ينعته فيها بمجاهد الدين، وسيف أمير المؤمنين، وثار عليه ابن الأحمر محمد بن يوسف بحصن أرجونة من أعمال قرطبة، داعياً للحفصيين أصحاب إفريقية، وأطاعته قرطبة سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٦٠م.

وتنازع ابن الأحمر وابن هود رياسة الأندلس وتجاذبا حبل الملك بها، وشجع ذلك ألفونسو الأحول ملك قشتالة للاستعداد للحرب، فاستولى على قرطبة في ٢٣من شوال ٦٣٣هـ واهتم ابن هود بتنظيم أموره، فكتب إلى عماله رسائل في ٢٤من جمادى الأولى ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م، يدعوهم إلى انتقاء أهل الأمانة لأعمالهم.

وقتل ابن هود في ٢٤من جمادى الأولى ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م، وانتصر قدم ابن الأحمر في الملك.

يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب الفهري :

آخر ولاة بني أمية في الأندلس، وهو الذي تصدى لمقاومة عبد الرحمن الداخل في مطلع عهده بالأندلس.

كان هناك خلاف بين اليمنيين بالأندلس وبين المضريين هناك، وكان الخلاف قد حُسِمَ على أن يتولى أحد المضريين الحكم عاماً على أن يعقبه في العام التالي حاكم من اليمنيين، وتولى يوسف بن عبد الرحمن الفهري الحكم على هذا الشرط، لكنه حنث بوعده، ورفض أن ينفذ ما اتفق عليه، وأصر على أن يظل في الحكم، وكان ذلك عام ١٢٩هـ/ ٧٤٦م.

وجاء عبد الرحمن الداخل إلى إسبانيا عام ١٣٨هـ/ ٧٥٥م، وأخذ جانب اليمنيين، وكان الفهري قد قتل الكثيرين منهم، وتجمع حول عبد الرحمن في الأندلس كُلُّ من كان من بني أمية بها، وكل من ظلمه الفهري.

وبرز الفهري لمقاتلة عبد الرحمن الداخل في جيش لا يحصى كثرة، ودارت رحى القتال بينهما مدة عام تقريباً، وانتهت المعارك بهزيمة الفهري ومقتله، ودخل عبد الرحمن الداخل قرطبة منتصراً بعد أن قضى على جيوش الفهري في موقعة حاسمة هي (المصارة) في منتصف مايو عام ١٣٩هـ/ ٧٥٦م.

* * *

انتشار الإسلام
في بلاد الغال «فرنسا» وجزر البحر المتوسط

* أولا: في بلاد الغال:

يقصد ببلاد الغال فرنسا، وقد تطلع الولاة الأمويون بعد أن أتم أحد قادتهم الأول وهو عبد العزير بن موسى بن نصير ٩٥-٩٧هـ/ ٧١٣-٧١٦م فتْحَ الأندلس - تطلعوا إلى مدّ سلطانهم على ولاية سبتماية - الريفييرا الفرنسية حاليا - والتي كانت تتكون من سبع وحدات إدارية، وعاصمتها أربونة NARBONNE، فقد كانت سبتماية من أملاك القوط الغربيين الذين أخضعهم العرب في شبه الجزيرة إسبانيا، وكان من الطبيعي أن يتابع هؤلاء القادة المسلمون عملية القضاء الكامل على سلطان أولئك القوط وأحلافهم وممتلكاتهم حتى ولو كان ذلك خارج إسبانيا ذاتها، وإن كان قد غاب عن أولئك القادة المسلمين أن بعض فلول الإسبان في شبه الجزيرة كانت قد اتجهت إلى الشمال الغربي منها لتتحصن في مناطق ليون وجيلقيا استعداداً للانقضاض على الفاتحين المسلمين عندما يحين الوقت المناسب لذلك. وكانت هذه الأخيرة واحدة من الأخطاء التي وقع فيها هؤلاء القادة المسلمون الفاتحون بإهمالهم متابعة الفارين إلى شمال غربي شبه الجزيرة.

استمرت الحملات المتوجهة إلى إقليم الغال فرنسا عبر فترة امتدت من ٩٨هـ-١٤١هـ/ ٧١٧-٧٥٨م، أي ما يزيد على أربعين سنة، شارك فيها من الولاة الأمويين على الأندلس عدد كبير من القادة بدءاً بالحرّ بن عبد الرحمن الثقفي

٩٨-١٠٠هـ/ ٧١٧-٧١٩م، والسمح بن مالك الخولاني ١٠٠-١٠٢هـ/ ٧١٩-٧٢١م وعنبسة بن سحيم الكلبي ١٠٥-١٠٦هـ/ ٧٢٣-٧٢٤م، وعذرة بن عبد الله الفهري ١٠٧هـ/ ٧٢٦م، وعبد الرحمن الغافقي في ولايته الأولى ١٠٢-١٠٥هـ/ ٧٢١-٧٢٣م، ثم في ولايته الثانية ١١٢-١١٤هـ/ ٧٣٠-٧٣٢، وكذلك في عهد عقبة بن الحجاج السلولي ١١٦-١٢٢هـ/ ٧٣٤-٧٤٠م. وبذل المسلمون أقصى الجهد لتثبيت سلطانهم في حوض الرون ولم تسقط أربونة NARBONNE إلا في عام ١٤١هـ/ ٧٥٨م، بعد قيام الإمبراطورية القرطبية، والقرار الذي اتخذه عبد الرحمن الداخل أول خليفة أموي بالأندلس بسحب جيوش المسلمين من غالة مكتفياً بمركزه في الأندلس.

- وكان من الطبيعي لحملات استمرت عبر هذه العقود الأربعة أن تتعرض المساحة التي سيطر عليها المسلمون في بلاد الغال للمدّ والجزر، وأن يقع من بين القادة المسلمين وأجناد الإسلام شهداء في تلك المعارك، وأن يحققوا كذلك انتصارات عديدة، نذكر منها:

- نجاح المسلمين في اتخاذ أربونة في جنوب غربي فرنسا قاعدة للفتوح والمعارك.

- أوغل المسلمون في دوقية أقطانية وحاصروا تولوز.

- سار المسلمون شمالاً في حوض الرون حتى وصلوا أوتان في مملكة برغنديا وفتحوها وعقدوا مع أهلها حلفاً.

- فتح المسلمون مدينة ليون عند ملتقى نهر الرون برافده نهر الساوون.

- وصل المسلمون إلى صانص SENS على بعد ٧٠ كم جنوب باريس.

- دخل المسلمون آرل في حوض الرون، ووصلوا إلى بوردو.

- هُزم المسلمون عام ١١٤هـ/ ١٢-١٣من أكتوبر ٧٣٢م في معركة بلاط الشهداء وانسحبوا إلى أربونة، وكان جيش المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي، وجيش بلاد الغال بقيادة شارل مارتل.

* لم تسقط أربونة إلا سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م، بعد قيام الإمارة الأموية القرطبية على يد عبد الرحمن الداخل الذي أمر بسحب المسلمين من غالة.

* * *

* المواقع الحربية

أربونة:

اسم أطلقه العرب على مدينة ناربون NARBOUNE الفرنسية التي تطل على البحر المتوسط في الغرب من مدينة مونبيليه. استولى عليها المسلمون منذ الفتح الأول للأندلس. وتذكر المصادر أن موسى بن نصير بعد أن استولى على الأندلس عام ٩٢هـ/ ٧١٠م، عبر جبال البرانس عن طريق برشلونة واستولى على أربونة، ثم جلا المسلمون عنها نحو عام ١٥٠هـ/ ٧٦٧م، إبان حكم الملك ببين، وهو أبو الإمبراطور شارلمان، وفي عام ١٧٧هـ/ ٧٩٣م بعث هشام بن عبد الرحمن الداخل وزيره عبد الملك بن عبد الواحد واستولى عليها. ويبلغ سكان أربونة في الوقت الحاضر نحو ٣٠٠٠٠ نسمة.

بلاط الشهداء «بواتييه»:

وقعت المعركة بين جيوش المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي وقوات الفرنجة بقيادة شارل مارتل في ١١٤هـ/ ١٢-١٣ أكتوبر ٧٣٢م ، وكانت ساحة المعركة أرض غابات وأحراش إلى الشمال من بواتييه في الطريق إلى تور ثم باريس.

وكان عبد الرحمن الغافقي قد تقدم في فرنسا بلاد الغال في ذلك الوقت تقدماً محسوساً، وكسب النصر في كثير من المعارك، بل كان على مسيرة ٧٠كم من باريس، جنوب نهر السين، وذلك بعد أن كان السمح بن مالك قد اخترق جبال (البرانس) في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، وزحف نحو الشرق عام ١٠٢هـ/ ٧٢٠م.

وكان تقدّم عبد الرحمن الغافقي في بلاد الغال وانتصاراته المتوالية قد أزعج الفرنجة واللاتين، وأثار خوف المسيحيين في جميع أنحاء أوربا، فتجمع هؤلاء جميعاً لمواجهة عبد الرحمن الغافقي في تلك المعركة التي انتهت بهزيمة المسلمين وقتل عبد الرحمن الغافقي.

وقد أخذت معركة بلاط الشهداء اسمها من الطريق الروماني المبلط الذي وقعت المعركة بالقرب منه.

ويؤكد جوستاف لوبون المؤرخ الفرنسي أن معركة بلاط الشهداء (بواتييه) لم تضع حدّاً لتقدم العرب كما يزعم كثير من المؤرخين، بل إن المسلمين سرعان ما أفاقوا من هول الهزيمة، وأخذوا يستردون مراكزهم السابقة، ودامت إقامتهم في

فرنسا حتى عام ١٤١هـ/ ٧٥٨م، أي بعد قيام الإمارة الأموية القرطبية، وكان عبدالرحمن الداخل هو الذي سحب المسلمين من غالة (فرنسا)؛ فقد رأى أن يكتفي بمركزه في الأندلس.

* * *

* ثانيا: انتشار الإسلام في جزر البحر المتوسط:

تنبه المسلمون منذ فجر الإسلام الأول إلى الخطر الذي يمكن أن يتهددهم من البحر (بحر الروم) بعد أن استقرت لهم الأمور في سواحل الشام والساحل الإفريقي، ولذلك فإننا لا نعجب عندما نجد معاوية بن أبي سفيان والي الشام من قبل الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ يقود حملات بحرية إلى جزر شرقي بحر الروم (البحر المتوسط) عام ٢٨هـ/ ٦٤٨م، وعام ٣٣هـ/ ٦٥٣م، فيفتح جزر أرواد ورودس وقبرص.

وعندما أصبح معاوية خليفةً للمسلمين وأصبحت دمشق عاصمة الدولة الإسلامية ٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م، وامتدت مساحة البلاد الإسلامية لتشمل الشمال الإفريقي والأندلس غرباً وبلاد فارس وما وراء النهر شرقا لا نرى غرابة في أن يتحول بحر الروم إلى بحيرة إسلامية، ويرجع الفضل إلى خلفاء الدولة الأموية في وضع الأساس للقوة الإسلامية في بحر الروم.

ومع مجيء الدولة العباسية وانتقال مقر الخلافة إلى بغداد ١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٧م، انتقلت معظم المسؤولية عن مركز الدولة الإسلامية في البحر المتوسط (بحر الروم) إلى سلطنة مصر والشام وما يليها غرباً من بلاد الإسلام حتى المغرب الأقصى والأندلس. .

وكان من حسن الحظ أن الدولة الأموية الأندلسية وكل بلاد المغرب من برقة إلى طنجة كانت تقطنها شعوب بحرية مما مكَّنَ للمسلمين في الحوضين الأوسط والغربي للبحر المتوسط.

ومع ذلك فقد وَجَّه هارون الرشيد قائده حميد بن معيوف في حملة بحرية لغزو قبرص، وأعاد أهلها إلى طاعة الخلافة، وغزا جزيرة إقريطش (كريت).

وتولى الربضيون الأندلسيون عام ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م، فتح إقريطش التي لم تلبث أن تحولت إلى أكبر قاعدة إسلامية تنطلق منها الجيوش لغزو بلاد الروم وجزرها.

وفي أيام عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط بالأندلس ٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م، تمّ فتح الجزائر الشرقية (جزر البليار)، وبنيت فيها المساجد والفنادق والحمامات، وأسلم الكثيرون من أهلها وسكانها المسلمون.

وكان جانب كبير من السواحل الجنوبية والغربية لجزيرة قرسقة (كورسيكا) في عهد عبد الرحمن الأوسط تحت سلطان المسلمين.

بل كان موسى بن نصير ـ فاتح الأندلس مع طارق بن زياد من قبل ـ قد أرسل قائده عياش بن أخيل لفتح جزيرة سردانية عام ٩٢هـ/ ٧١١م.

أما صقلية فقد شهدت إبّان العصر الفاطمي حكم الكلبيين وكانت (بلرم) عاصمةُ صقلية إذ ذاك بمسجدها الجامع العظيم قاعدةً إسلامية كبرى.

وشهدت صقلية أيضاً الغزوة التي قام بها أسد الدين بن الفرات من قِبَل زياد الله بن الأغلب، ثالث أمراء الأغالبة عام ٢١٢هـ/ ٨٥٧م، والتي واصلها من بعده محمد بن الجواري، وتهاوت فيها مدن الجزيرة تحت أقدام جند الإسلام، وكانت بعد ذلك نقطة انطلاق لغزوات المسلمين لإيطاليا.

وكان للأتراك العثمانيين دور كبير في الحفاظ على سمعة البحرية الإسلامية في البحر المتوسط ، وخصوصا بعد أن نما الأسطول التركي نموا كبيراً في عهد بايزيد الثاني الذي استولى على رودس عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م، وطرد منها فرسان القديس يوحنا الذين لجأوا إلى مالطة، وتتبعهم إليها، وإن لم يستطع أن يحقق ما حققته الدول الإسلامية في العصور السابقة لعصر الدولة العثمانية من نجاحات.

وكان لجزر البحر المتوسط دور لعبته في الحروب الصليبية، فقد كانت مطمحاً لسائر الحملات الصليبية كقاعدة ارتكاز تنطلق منها إلى بلاد الإسلام ويجد القارئ في الصفحات التالية عرضاً للاهتمام الذي لقيته جزر بحر الروم (البحر المتوسط) من عناية للإسلام بشؤونها.

إقريطش «كريت» :

جزيرة ببحر الروم (البحر المتوسط حاليا)، تقع جنوبي شبه جزيرة البلقان بمحاذاة جزيرة قبرص، وكانت ضمن أملاك الدولة البيزنطية.

وقد قام معاوية بن أبي سفيان إبّان خلافته في عام ٥٤هـ/ ٦٧٤م، بفتح جزيرة إقريطش دعماً لسياسته في السيطرة على شرقي بحر الروم.

ومرت عصورٌ تراخى فيها اهتمام الخلفاء العباسيين ببحر الروم واهتزت فيها علاقة دولة الإسلام بالجزيرة إلى أن وفد إليها جماعات مسلمة مسلحة (هم الربضيون) قامت بمهاجمة الجزيرة لإعادة النفوذ الإسلامي إليها في عام ٢١١هـ/ ٨٢٦م، كانت هذه الجماعات قد ثارت على الأمير الأموي الأندلسي الحكم بن هشام وحاولوا الاستقرار بمصر، لكن عبد الله بن طاهر عامل الخليفة العباسي المأمون أخرجهم من الإسكندرية ويسّر لهم العتاد فعادوا إلى كريت (إقريطش) في عام ٢١٢هـ/ ٨٢٧م، واستولوا على حصونها حصناً حصناً، حتى تمّ لهم فتحها كلها عام ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م، ودخلوا في طاعة الخلافة العباسية، وأصبحت إقريطش (كريت) ولاية عباسية تابعة لوالي مصر، ونشطت العلاقات التجارية والثقافية والسياسية بين إقريطش ومصر والشام، وكانت مصر تتلقى من إقريطش الأخشاب والجبن والعسل.

ولم تلبث إقريطش (كريت) أن تحولت إلى أكبر قاعدة إسلامية لغزو بلاد الروم وجزرها. . وفي عام ٢١٤هـ/ ٨٢٩م، انتصر الإقريطشيون على الروم انتصاراً كبيراً، واتحد أهل إقريطش مع غزاة المسلمين من طرطوس، وقاموا بأعمال عسكرية خطيرة على سواحل بلاد الروم.

وعندما قامت الدولة المقدونية في بيزنطة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م حاولت التصدي للإقريطشيين، وانتهزت فرصة تضاؤل القوة البحرية الإسلامية حتّى تمكن تكفوركاس قائد الإمبراطور رومانوس الثاني في عام ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م، من القضاء على الحكم الإسلامي في الجزيرة عام ٣٥٠هـ/ ٩٦١م، وأعيدت الجزيرة إلى الحكم البيزنطي.

وكان الأتراك العثمانيون قد تمكنوا من فتح جزيرة كريت في عهد السلطان محمد الرابع ١٠٥٨-١٠٩٩هـ/ ١٦٤٨-١٦٨٧م، وظلت الجزيرة حتى عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، تحت التبعية الكاملة للدولة العثمانية المسلمة، لكن مؤامرات الدول الأوربية أدّت إلى تقليص تلك الدولة بعد حروب طويلة خاضتها مع روسيا والنمسا، وكبح للثورات التي قامت في أقاليم مختلفة من أراضي الدولة. وانتهى الأمر بالانسحاب من كريت التي منحت الاستقلال الذاتي عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، ووضعت بعد ذلك تحت الوصاية الدولية، وعين الأمير جورج ابن ملك اليونان حاكماً عليها.

* * *

جزر بليار «الجزائر الشرقية»:

تقع الجزائر الشرقية (جزر البليار) على مقربة من الساحل الشرقي لشبه جزيرة إيبريا. وتضم جزر ميورقة، ومنورقة، ويابسة، وفرمنتيزه.

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن أول من فتح هذه الجزر هو عبد العزير ابن موسى بن نصير الذي تولى شؤون الأندلس بعد عودة أبيه موسى بن نصير إلى المشرق.

(انظر موسى بن نصير)

وقد توجه أسطول أندلسي بقيادة عصام الخولاني في عهد الأمير عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) لفتح تلك الجزر، ففتحها دون صعوبة، وظل عصام الخولاني يحكمها من قبل الأمير عبد الله محمد لفترة بلغت عشر سنوات، فبنى بها المساجد والفنادق والحمامات، وتكاثر فيها المسلمون وأسلم الكثيرون من أهلها، وخلفه عليها ابنه عبد الله.

وتعاقب على الجزائر الشرقية (جزر البليار) ولاة المسلمين بعد ذلك، وقامت فيها قاعدة بحرية إسلامية، ومنها كانت تخرج سفن المسلمين الغازية لشواطئ فرنسا وإيطاليا.

* * *

رودس:

جزيرة بالبحر المتوسط (بحرالروم سابقاً)، تقع جنوب غربي آسيا الصغرى إلى الشمال الشرقي من جزيرة كريت، وإلى الغرب من جزيرة قبرص، بمحاذاة الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى.

كانت جزيرة رودس تابعة للدولة البيزنطية، وانتزعها الصليبيون بمساعدة آل لويزينيان ملوك قبرص الذين أقاموا فيها فرسان الاستبارية، ألد أعداء المسلمين.

قام السلطان المملوكي سيف الدين جقمق، خليفة بارسباي بفتح جزيرة رودس بعد أن جرّد لها ثلاث حملات بحرية خلال الفترة من ٨٤٤-٨٤٨هـ/ ١٤٤٠-١٤٤٤م، وتم له فتحها بالحملة الثالثة من تلك الحملات، وضمها إلى أملاك سلطنة المماليك. وعندما غزا الأتراك العثمانيون مصر عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٧م، تم إخضاع جزيرة رودس للسيادة العثمانية عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م.

وظلت الجزيرة تابعة لتركيا حتّى غزاها الإيطاليون عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، أثناء الحرب التي شنوها على الدولة العثمانية انتهازاً لضعفها.

وفي معاهدة الصلح التي أعقبت الحرب العالمية الثانية أعطيت رودس لليونان عام١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م، وظلت تحكم حكماً عسكريا محليا حتى عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، ثم اصبحت إحدى المقاطعات التابعة لليونان، وعاصمتها رودس.

* * *

جزيرة بالبحر المتوسط تقع إلى الجنوب من جزيرة قُرسقَة (كورسيكا)، وتكاد تكون على خط طول واحد مع ميناء بنزرت بتونس وميناء جنوه بإيطاليا.

كانت سردانية تابعة اسماً للدولة البيزنطية ولكنها كانت من الناحية الفعلية جزيرة مستقلة.

وقد أرسل موسى بن نصير الفاتحُ العربي قائدَه عياش بن أخيل عام ٩٢هـ/ ٧١١م، في حملة لفتح سردانية.

واتخذ الفاطميون لهم قواعد بحرية على سواحل تؤمن تجارتهم التي كانت تمر بتلك الجزيرة.

كما أنشأ الأندلسيون قواعد تجارية على سواحل سردانية وكورسيكا، ومن مظاهر حرص الأندلسيين على السيادة في البحر المتوسط قيام مجاهد العامري - وهو أحد الموالي الصقالة الذين نشأوا حول المنصور محمد بن أبي عامر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) وتربوا في مدرسته بغزو سردانية - بفتح جزيرة سردانية.

كان مجاهد العامري قد هرب عندما قامت الفتنة الأندلسية مع نفر من الصقالة واستقر في دانية، واكتفى آخر الأمر بالاستيلاء على الجزائر الشرقية (جزر البليار) وما تيسر له من إسبانيا، وكان مجاهد يشغل وظيفة والٍ على تلك الجزر.

أنشأ مجاهد أسطولاً ضخماً شحنه بالرجال، واستقر في الجزائر الشرقية ٤٠٩هـ/ ١٠١٨م، وبدأ في الاستعداد لغزو سردانية، وكان قد غزاها قبله عياش ابن أخيل قائد موسى بن نصير عام ٩٢هـ/ ٧١١م.

وفي ربيع الأول ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م أرسل مجاهد أسطولاً كبيراً إلى سردانية تحت قيادة أمير البحر أبي حروب، وبدأ في فتح الجزيرة في ربيع الثاني ٤٠٦هـ/ سبتمبر ١٠١٥م، وتمّ له فتح الجزيرة كلها مع نهاية العام، وكان مجاهد ينوي الإقامة والاستقرار في الجزيرة.

وفي عام ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م، تمكنت حملة صليبية من هزيمة الأسطول الإسلامي وأغرقت كثيراً من السفن.

* * *

صقلية وجنوب إيطاليا:

كانت صقلية خاضعة للإمبراطورية البيزنطية، وكانت بحرية الروم تغير من وقت لآخر على الساحل الإفريقي، وقامت تلك البحرية بالفعل بتخريب بعض منازل المسلمين في شمال إفريقية وهددت أمنهم.

وكانت إمارة القيروان التي أنشئت عام ٥٠هـ/ ٦٧٠م هي المسئولة أمام الخلافة عن سائر شئون إفريقية إلى أن استقل الأدارسة وآل رستم بالجزء الغربي من

الشمال الإفريقي، فبقيت القيروان عاصمة لما تبقى من شمال إفريقية، واستطاع إبراهيم ابن الأغلب أن يعيد للعباسيين سلطانهم في هذه البلاد، وعهد إليه الرشيد بالولاية وراثية في أولاده، وبنى مدينة العباسية قرب القيروان، وانتقل إليها، وسرعان ما ازدهرت تلك المدينة، وبدأت بذلك أسرة الأغالبة ١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م.

وفي عهد زياد الله بن الأغلب ثالث أمراء الأغالبة رأى هذا الأمير أن يثأر للمسلمين من حملة بحرية رومية أغارت من صقلية على الساحل الإفريقي، فعهد إلى قاضي القضاة في إمارته الإمام أسد الدين بن الفرات، بقيادة حملة إلى جزيرة صقلية عام ٢١٢هـ/ ٨٢٧م، واستولت الحملة على مازورة، ثم تقدمت فحاصرت سرقوسة٢١٣هـ/ ٨٢٨م، وتولى قيادة الحملة محمد بن الجواري بعد موت ابن الفرات، فاقتحم سرقوسة، واحتلّ بلرم ٢١٦هـ/ ٨٣١م، وتهاوت مدن الجزيرة في أيدي المسلمين، وأسندت إمارة الجزيرة إلى أمير أغلبي هو أبو الأغلب إبراهيم بن عبد الله، وتم للأغالبة إخضاع جزيرة صقلية نهائيا في عهد إبراهيم ابن أحمد الثاني تاسع أمراء الأغالبة٢٦١-٢٨٩هـ/ ٨٧٥-٩٢٠م. وخلال حكم الأغالبة وصلت الجيوش إلى مصب نهر البو في إيطاليا، وإلى ميناء برنديزي، وإلى باري في جنوب إيطاليا على الساحل الشرقي، وإلى أمالفي ومورينو، بل إلى روما على الساحل الغربي، وعبر الأغالبة مضيق مسيني إلى جنوب إيطاليا في منطقة قلورية حتى مدينة كشنت، واتخذوا منطقة قلورية قاعدة لهجماتهم على الشمال والشرق.

واهتم الفاطميون الذين قضوا على الأغالبة عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م، بصقلية وموانيها، واهتموا كذلك بجزر مالطة وكورسيكا، وحرصوا على تقوية القواعد الإسلامية على سواحل قلورية، وخصوصا ريجيو وموانئ ساحل أبوليا، مثل طارنت وبرنديزي. وعمّر الفاطميون موانئ صقلية العديدة مثل مسني، وطرمين، وقطانية، وسرقوسة والروالص ونَوْطس، ورغوص، ولنبيادة.. وغيرها.

ودخلت صقلية فترة من الفوضى والاضطراب فيما بين ٣٠٠-٣٢٧هـ/ ٩١٢-٩٣٨م، حيث استقلّ كثير من قادة المسلمين في صقلية في حصونهم، ورأى أولئك القادة أن تكون السيادة للدولة الفاطمية سيادة اسمية فقط، لكن عبد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين ٢٩٧هـ-٣٢٢هـ/ ٩٠٩-٩٣٤م - والذي اشتهرت في أيامه غارةٌ قام بها الأسطول الفاطمي على وادي وارى في كلابريا بإيطاليا عادت بغنائم وفيرة- رفض ذلك وأرسل إليهم قوات تغلبت عليهم وولّى على الجزيرة حاكماً يسمى سالم بن راشد.

وكان سالم بن راشد ظالماً، فضجّ الصقليون بالشكوى منه، فعزله عبيد الله، وعين مكانه خليل بن إسحق، وقد بلغ من شدَّة هذا الأخير أن هدم أسوار بلرم، فاستعان أهل بلرم بالروم، وارتد بعضهم عنَ الإسلام، وكان ذلك خلال الفترة ٣٢٧-٣٢٩هـ/ ٩٣٨-٩٤٠م.

وعهد الفاطميون إلى أسرة الكلبيين بحكم الجزيرة، وظلت هذه الأسرة تحكمها لفترة بلغت ٩٥ عاماً، وكانت تلك الفترة العصر الذهبي لحكم الإسلام هناك، فساد الأمان واستتبّ النظام، وأصبحت بلرم قاعدة إسلامية كبرى، وخصوصا بعد أن بُنِي مسجدُها الجامع العظيم. وبلغت أسرة الكلبيين ذروة قوتها أيّام أبي الفتح يوسف الكلبي الملقب بثقة الدولة ٣٧٩-٣٨٨هـ/ ٩٨٩-٩٩٨م.

وقد ثار الصقلّيون على الحسن الصمصام بن يوسف الكلبي ٤١٦-٤٦١هـ/ ١٠٢٥-١٠٦٨م، آخر الكلبيين في الجزيرة، واستقل كل منهم بناحية. وشبّت بين الأمراء المستقلين المنازعات، واستجار بعضهم بالقائد النورماندي (رجال) الذي كان يحكم جنوب إيطاليا عام ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، فاستولى على معاقل الجزيرة.

وفي عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م كان قد قضي على بقية المسلمين في صقلية، وانتقلت السيادة على حوض البحر المتوسط الأوسط إلى أيدي النورمان وأهل الجمهوريات الإيطالية التجارية.

* * *

قبرص «٢٨هـ/ ٦٤٩م»:

جزيرة بالبحر المتوسط تقابل الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى (تركيا)، وسواحل الشام بمحاذاة حمص وحلب، وتقع بين خطي طول ٣٠° و٣٤° شرق جرينتش. ينقسم الشعب الذي يسكن قبرص في الوقت الحاضر إلى قسمين:

مسلمين يسكنون في الجزء الشمالي من الجزيرة، ويدينون بالولاء لتركيا ويتحدثون اللغة التركية، وقسم آخر في الجنوب يتحدثون اللغة اليونانية، ويدينون بالولاء للحكومة اليونانية. وتجرى في الوقت الحاضر محاولات لتوحيد شطري الجزيرة بإشراف الأمم المتحدة.

ترجع صلة الجزيرة بالإسلام إلى عهد الخلفاء الراشدين عندما غزاها معاوية، وعقد معاهدة مع أهلها رضوا فيها بدفع الجزية للمسلمين أيّام الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان، وكان ذلك في عام ٢٨هـ/ ٦٤٩م، في الوقت الذي ظلّ فيه أهل الجزيرة أيضاً على ولاء للدولة البيزنطية يدفعون لها مثل ما يدفعون للمسلمين.

وانتهزت الدولة البيزنطية فرصة ضعف الدولة العباسية فأغارت على أراضيها واكتسحت العواصم والثغور خلال الفترة ٩٧٦-١٠٣٢م، وعادت الجزيرة إلى أملاك الدولة البيزنطية حتى استولى عليها ريتشارد قلب الأسد أثناء الحروب الصليبية، وأصبحت قاعدة صليبية خطيرة تخرج منها الحملات لمهاجمة العالم الإسلامي.

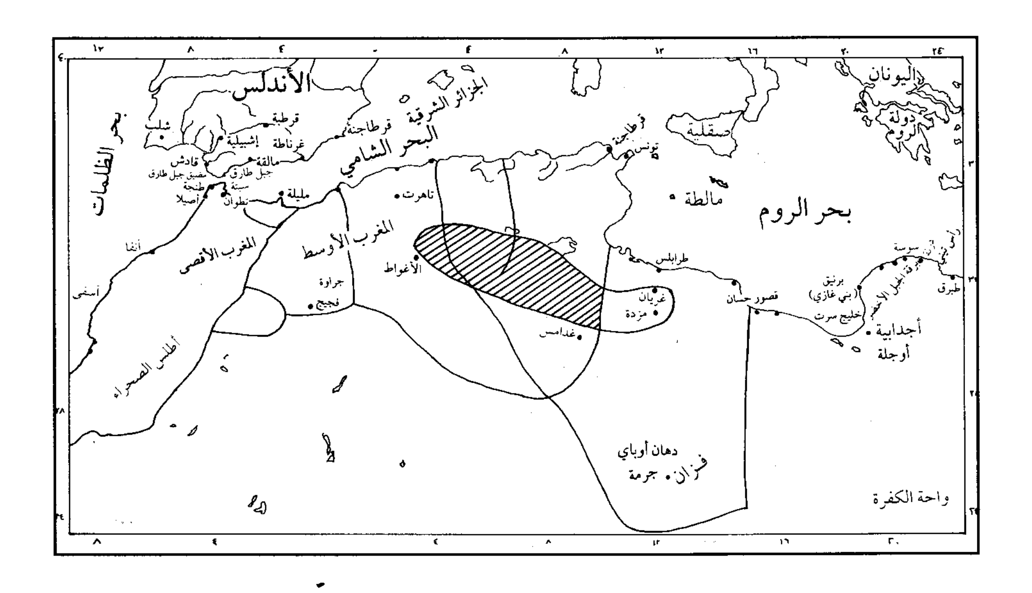
وفي عصر المماليك بمصر تمّ القضاء على تلك القاعدة الصليبية عام ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م، في عهد السلطان المملوكي الأشرف سيف الدين بارسباي، وظلت الجزيرة تابعة لسلطان المماليك، حتى استولى العثمانيون على مصر عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٧م، فانتقلت ملكيتها إلى العثمانيين، وظلت تابعة لهم حتى تنازلوا عنها للإنجليز في عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م، وأسلمها الإنجليز لليونان بعد الحرب العالمية الأولى ومن ثمّ نشأت مشكلة قبرص بين سكانها اليونانيين والأتراك، ولا تزال المشكلة قيد البحث أمام الأمم المتحدة.

* * *

مالطة:

من جزر البحر المتوسط حاليا (بحر الروم سابقاً)، تقع إلى الجنوب من صقلية، تكاد تكون على خط طول واحد من طرابلس عاصمة الجماهيرية الليبية، وعلى خط عرض مع مدينة سوسة على الساحل التونسي.

(انظر الخريطة)



فتح المسلمون جزر مالطة لأول مرّة عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، أيام حكم الأغالبة لشمال إفريقية في عهد إبراهيم الثاني ابن أحمد، لكن الفتح الحقيقي الذي ترك أثراً في مالطة كان في عام ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م، في وقت كان الأغالبة فيه سادة البحر المتوسط والمسيطرين على الملاحة فيه.

وانتهى السلطان السياسي للمسلمين على جزر مالطة عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، على يد النورمان، لكن المسلمين ظلّوا يعيشون في جزر مالطة دون قيود حتى ضعف دولة النورمان.

واستولى فرسان القديس يوحنا على الجزر عام ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م بعد أن طردهم الأتراك العثمانيون من رودس، وظلت الجزر (جزر مالطة) في أيديهم إلى أن انتزعها منهم نابليون بونابرت وهو في طريقه إلى مصر عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، ثم تحوّلت جزر مالطة إلى مستعمرة بريطانية في القرن التاسع عشر.

تقع جزيرة قرسقة (قورسيقا/ كورسيكا) جنوب الساحل الإيطالي على خط طول واحد مع ميناء جنوا الإيطالي، كما تقع إلى الشمال من جزيرة سردانيا، وكلاهما من جزر البحر المتوسط (بحر الروم سابقاً).

كان جزء كبير من السواحل الجنوبية والغربية لجزيرة قرسقة تحت سلطان المسلمين إبان عصور الإسلام الزاهية في الأندلس، وتذكر بعض المصادر أن إمارة قرطبة حازت قرسقة أيام الأمير عبد الرحمن بن عبد الحكم (عبد الرحمن الأوسط)، وكان للمسلمين فيها ميناءان: مرسى البوالصي، ومرسى الزيتونة.

وجزيرة قرسقة هي الجزيرة التي ولد بها نابليون بونابرت.

هو الرحالة الأندلسي أبو الحسين محمد بن أحمد جبير، ولد بمدينة بلنسية بالأندلس عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٥م، ودرس اللغة والأدب والفقة، وبرع في الشعر والنثر.

اشتهر برحلاته التي أقام بها إلى الشرق الأوسط، وزار خلالها القاهرة ودمشق وحلب والموصل وبغداد والكوفة ثم مكة والمدينة، كما زار صقلية.

وتُعدّ رحلة ابن جبير من كتب الرحلات المشهورة في المكتبة العربية، لا سيما لما تضمنته من وصف لجزيرة صقلية وتعريف بالحياة المصرية إبّان حكم الأيوبيين، توفي ابن جبير بالإسكندرية عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م.

أسد بن الفرات:

فقيه وقائد عربي، وهو أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان، ولد بحران بآسيا الصغرى عام ١٤٢هـ/ ٧٥٩م، وصحب أباه في صغره إلى إفريقية، ورحل إلى المدينة، وأخذ الفقه على مالك بن أنس، وتنقل بعد ذلك بين العراق ومصر وتونس، واستقر بالقيروان عام ١٨١هـ/ ٧٩٧م إبان حكم الأغالبة، فأسند إليه زياد الله الأغلبي قضاء القيروان عام ٢٠٣هـ/ ٨١٨م.

اشتهر أسد بن الفرات في التاريخ الإسلامي السياسي، ففي عام ٢١٢هـ/ ٨٢٧م أرسله زياد الله على رأس أسطول وجيش قوي إلى جزيرة صقلية، وكان الروم قد تغلبوا عليها، فاستولى على أكثر أنحائها بعد حروب برية ومعارك بحرية دمِّر فيها الأسطول.

توفي أسد بن الفرات عام ٢١٣هـ/ ٨٢٨م من جراح أصابته في حصار سرقوسة. وله كتاب (الأسدية) في فقه المالكية.

جقمق:

العاشر من سلاطين دولة المماليك الجراكسة بمصر، وهو الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين جقمق الظاهري نِسْبةً إلى الملك الظاهر برقوق.

تدرج في مناصب الجيش والإدارة حتى إذا كانت سلطنة الملك الأشرف برسباي جعله أتابكًا على العسكر، كما خدم ابنه العزيز يوسف الذي تولى عام ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م، لكن المماليك لم يلبثوا أن خلعوه وبايعوا جقمق بالسلطنة، ولقب بالملك الظاهر.

عمل على استتباب الأمن في ولايته على الشام، وجدّد التحالف مع السلطان محمد الثاني العثماني، وكان جقمق بارعاً في اللغة العربية، متعمقاً في العلوم الفقهية، وفي أيامه فشا الطاعون في مصر، وقضى على كثير من أهلها. من آثاره مسجد زين الدين بن يحيى ببولاق، ومنقوش على محرابه: «أنشأ هذا الجامع المبارك مولانا السلطان الملك الظاهر محمد أبو سعيد جقمق عز نصره».

توفي عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م في السنة التي فتح فيها محمد الثاني مدينة القسطنطينية.

جنادة بن أبي أمية الأزدي:

صحابي من مشاهير القادة في القرن الأول الهجري، اشترك في فتح مصر، ولكن شهرته في التاريخ الإسلامي كانت نتيجة لقيادته البحرية للأسطول العربي الذي فتح جزيرة رودس عام ٥٣هـ/ ٦٧٢م، على عهد خلافة معاوية.

وقد استولى الفاتحون المسلمون على تمثال رودس المشهور الذي كان يُعدّ من عجائب الدنيا القديمة- وكان التمثال من النحاس الأصفر، ويقال إنهم حملوه على ٩٠٠ جمل.

توفي جنادة عام ٨٠هـ/ ٦٩٩م، في أيام خلافة عبد الملك بن مروان.

الحسن الكلبي:

مؤسس الأسرة الكلبية الحاكمة في صقلية، وهو الحسن بن علي بن أبي الحسن الكلبي، نشأ في ظل الدولة الفاطمية التي كانت تحكم شمال إفريقية، وقرّبه الخليفة المنصور ثالث الخلفاء الفاطميين، وولاه صقلية عام ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م لقمع الفتنة فيها، فنجح في ولايته.

وفي عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م، أرسل الإمبراطور قسطنطين الثاني أسطولاً للاستيلاء على الجزيرة، فهزمه الحسن عند مسينا ـ على مضيق سينا ـ وعبر البحر إلى شاطئ إيطاليا فاستولى على مدينة ريو التي عمّرها وبنى بها مسجداً، وخلص له ساحل كالابريا (قلورية)، وانتهى بعقد الصلح مع الروم، ثم انتقل إلى المهدية بعد تولية الخليفة المعز، وعهد لابنه بولاية صقلية.

وفي عام ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م قاد الأسطول العربي والتقى البيزنطيين في معركة راميتا أو (رمطة)، وكان انتصاره حاسماً، ولم يلبث بعد هذه المعركة أن توفي ودفن بصقلية.

ودام حكم الكلبيين على صقلية من سلالته حتى عام ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م، حين استولى عليها النورمانديون.

* * *

* في شرق أوروبا

يرجع الفضل ـ بعد الله ـ إلى العثمانيين في رفع راية الإسلام عاليةً على أجزاء كبيرة من شرق أوروبا، ولا زالت آثار الجهود التي قام بها خلفاء آل عثمان شاهدة لهم على نصرة دين الله في تلك المناطق . . في ألبانيا، وفي البوسنة والهرسك . . بل لقد خضعت لهم في وقت من الأوقات شبه جزيرة البلقان بكاملها، بما في ذلك بلغاريا والمجر وبلاد الصرب وبلاد اليونان.

وعرفت أوروبا عصر القوة الإسلامية في نحو منتصف القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري. وكان للمسلمين السيطرة على سواحل البحر الأدرياتي، وعلى مصب نهر الدانوب والدنيستر، وحاصر المسلمون فيينا الساحرة، عاصمة النمسا عدة مرات، وفرض العثمانيون سيطرتهم الكاملة على البحر المتوسط لفترة من الزمن. ولولا تكتل أوروبا النصرانية وتسرب الضعف والوهن إلى دولة الخلافة الإسلامية حين جرى بعض السلاطين وراء إشباع أطماعهم الشخصية لكان لأوروبا الشرقية حالٌ آخر الآن.

ومن حسن الحظ أن انتصارات المسلمين في شرق أوروبا جاءت في وقت بدأ سلطان المسلمين فيه يزول عن الأندلس . . فكان في تلك الانتصارات في أوروبا شيء من العزاء عما خسره المسلمون هناك، وفيما يلي بيان ذلك:

قيام السلطنة العثمانية:

بعد زوال دولة السلاجقة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م تم للعثمانيين إخضاع آسيا الصغرى، وأعلن عثمان الذي خلف أباه أرطغرل في خدمة السلطان السلجوقي علاء الدين استقلاله التام بعد مقتل علاء الدين آخر السلاجقة، وبذلك قامت الدولة العثمانية.

العثمانيون في أوروبا:

وقد تمكن مراد الأول حفيد عثمان مؤسس الدولة، والذي خلف أباه أورخان في عام ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م، من عبور بحر إيجه الذي يفصل بين آسيا وأوروبا، وهاجم شبه جزيرة البلقان، فاستولى على أدرنة عام ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، واتخذها عاصمة له، وتوالت انتصارات مراد الأول في البلقان، فأتم فتح مقدونية عام ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م، وفتح صوفيا عام ٧٨٩هـ/ ١٣٨٦م، وفتح سالونيك وشمال اليونان.

وفي عام ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م، انتصر مراد الأول في معركة قوصوه KOSOVA على الجيوش المتحالفة التي تكونت من القوات الصربية ومن البشناق والمجر والبلغار والألمانيين، وانتهت معركة (قوصوه) بمقتل مراد الأول غدراً على يد أحد المقاتلين الصرب، فحمل الراية من بعده ابنه بايزيد الأول ٧٩٢-٨٠٦هـ/ ١٣٨٩-١٤٠٣م الذي أخضع بلاد اليونان كلها قبل نهاية عام ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م، وفي الوقت نفسه أصبحت بلاد الصرب ولاية تابعة للسلطان التركي.

موقعة نيقوبوليس «٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م»:

إزاء الانتصارات الكبيرة التي حققها العثمانيون في البلقان دعا البابا ملوكَ أوروبا لقتال العثمانيين وطردهم باسم الدين، وتكون جيش كبير ضمّ فرسانا من فرنسا وألمانيا بقيادة سجسمن ملك المجر، وتصدى بايزيد الأول لذلك الجيش عند نيقوبوليس على نهر الطونة عام ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م، وهزمهم شر هزيمة، ولم ينج منهم إلا قليل.

إخضاع البوسنة والصرب، موقعة فارنا «٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م»:

اتجه مراد الثاني لمواصلة فتوحاته في أوروبا فاحتل سالونيك عام ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م، لكن تكتلاً نصرانيا بقيادة هونيادي القائد المجري العظيم تصدى لهم بمعاونة الصرب والبولنديين وأهل الأفلاق- فعقدت معاهدة إزجدن عام ١٤٤٤م، بعد أن حقق مراد الثاني انتصارات كبيرة في البلقان، وتنازل العثمانيون بمقتضى المعاهدة عن بلاد الصرب، وأعطوا الأفلاق للمجر، لكن المجريين نقضوا المعاهدة واستأنفوا القتال فأنزل بهم مراد الثاني هزيمة شاملة في موقعة فارنا عام ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م، وقتل في المعركة بعض ملوك أوروبا وأمرائها، وتم إخضاع البوسنة والصرب، ووصل العثمانيون بذلك إلى ما أصبح يعرف بعصر القوة.

فتح القسطنطينية «إسلامبول» «٨٥٧هـ/١٤٥٣م»:

أرسل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع رسالة إلى السلطان محمد الثاني، الملقب بالفاتح، والذي تولّى السلطنة بعد وفاة أبيه مراد الثاني - يهدده. فقام محمد الثاني بحصار القسطنطينية، وهاجمها، فتمّ له النصر، وخضعت المدينة، وقتل الإمبراطور البيزنطي في المعركة، ودخل محمد الثاني (الفاتح) القسطنطينية وأطلق عليها اسم (إسلام بول- مدينة إسلام)، وأصبحت عاصمة الإمبراطورية العثمانية. وظلت كذلك إلى أن نقل مصطفى كمال أتاتورك العاصمة إلى أنقرة عام ١٣٣٢هـ/ ١٩٢٣م.

فتح أثينا وما يتبعها:

واصل محمد الفاتح فتوحاته، ففتح أثينا وما كان يتبعها فتحاً كاملاً فيما بين ٨٦٣-٨٦٥هـ/ ١٤٥٨-١٤٦٠م، وأتم إخضاع بلاد الصرب ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، وبلاد البوسنة ٨٦٨-٨٦٩هـ/ ١٤٦٣-١٤٦٤م، والتي دخل أشراف أهلها الإسلام وأصبحت جزءاً من الدولة العثمانية.

وتم طرد البندقيين من بلاد اليونان فيما بين ٨٦٨-٨٨٤هـ/ ١٤٦٣-١٤٧٦م، وتمت سيطرة العثمانيين على البحر الأدرياتي فيما بين ٨٧٩-٨٨٤هـ/ ١٤٧٤-١٤٧٩م، وتمّ فتح بلاد ألبانيا إلى حدود البندقية. وحاول محمد الفاتح أن يفتح إيطاليا ليرفع علم الإسلام على إيطاليا لكنه لم يتمكن من ذلك لكثرة مشاغله، واكتفى بالاستيلاء على مدينة أترنتو عام ٨٨٤هـ/ ١٤٨٠م، وأخضع بلاد الهرسك ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م، وتمكن من السيطرة على مصب الدانوب والدنيستر ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م.

فتح بلجراد ورودس:

استطاع السلطان سليمان القانوني أو سليمان العظيم- كما يسميه الأوربيون- ٩٢٧-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م، وهو ابن السلطان سليم الأول - أن يستولي على بلجراد عام ٩٢٨هـ-١٥٢١م، وكانت تابعة لدولة المجر، كما استولى على جزيرة رودس عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م، وانتصر على ملك المجر في موقعة مهاج ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م، وفتح بودابست.

حصار فيينا «٩٣٦هـ- ١٥٤٩م»:

وقام السلطان سليمان القانوني بحصار فيينا عام ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م، ثم أعاد الكَرَّةَ عام ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢هـ، لكن تحالف ألمانيا وبولندا أنقذها من السقوط.

السيطرة الكاملة على البحر المتوسط:

وأصبح للقباطنة الأتراك السيطرة الكاملة على البحر المتوسط.

الاستيلاء على قبرص «٩٧٨-٩٧٩هـ/ ١٥٧٠-١٥٧١م»:

وفي عهد السلطان سليم الثاني استولى الأتراك على قبرص عام ٩٧٨-٩٧٩هـ/ ١٥٧٠-١٥٧١، واعترفت البندقية بسلطان العثمانيين على الجزيرة عام ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م.

* أسماء وأماكن لها تاريخ

أدرنة:

تقع أدرنة في موقع بهيج على مرتفع من الأرض عند ملتقى الأنهار: مريج، وآردا، وطونجه، وسط سهل خصيب على الجانب الأوربي من بحر مرمرة، وهي مدينة تركية حاليا.

وقد انتزع العثمانيون مدينة أدرنة وما جاورها من الروم عام ٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م، وكان الروم قد حصنوها تحصيناً قويا لصد غارات البلغار في السنوات الأخيرة للإمبراطورية. وقد جعلها السلطان مراد الأول مقام سلاطين آل عثمان في أوربا منذ عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م. وظلت أدرنة العاصمة الثانية لسلاطين آل عثمان حتى بعد استيلائهم على القسطنطينية عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م.

وكانت أدرنة مدينة تجارية عظيمة سمح باستيطانها للأجانب من اليهود والإسبان والأرمن. وكانت لها تجارة نشطة مع الغرب.

وشيدت في أدرنة أفخم المباني في القرنين التاسع والعاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين. وقد بنى بها السلطان محمد الثاني في عام ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م القصر السلطاني الجديد على جزيرة من الجزائر الموجودة في نهر طونجة، وأتمه سليم الأول ٩١٨-٩٢٧هـ/ ١٥١٢-١٥٢٠م، وأضاف السلاطين بعد ذلك إليه عدة جواسق ومنشآت أخرى، وبدأ القصر يتهدم منذ بداية القرن التاسع عشر، وعقدت في أدرنة معاهدة الصلح بين الترك والروس عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م.

وفي معاهدة لوزان في ٢٤ من يوليو ١٩٢٣م اعترفت الدول باستقلال تركيا، وجعلت حدودها في الغرب نهر مارتيزا، واعترف بأدرنة مدينة تركية.

بلغاريا :

إحدى جمهوريات البلقان، تطل على البحر الأسود بين مجرى الدانوب في الشمال والجمهورية التركية وبلاد اليونان في الجنوب، ويجاورها من الغرب جمهورية يوغسلافيا.

وكانت قد تكونت دولة مستقلة في بلغاريا عام ١٨٧٨م، بضم إمارة بلغاريا إلى ولاية الرومللي الشرقية، ثم ضمت إليها منطقة دوبرجيه الجنوبية من رومانيا عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

يبلغ عدد سكان بلغاريا نحو تسعة ملايين نسمة، ٨٨٪ منهم يتكلمون اللغة البلغارية، و١٠٪ يتكلمون اللغة التركية، والباقون ٢٪ يتكلمون لغات أخرى.

وتتبع بلغاريا الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، ويبلغ عدد المسلمين بها نحو مليون نسمة، منهم ٨٠٠٠٠٠ من الأتراك، و٢٠٠٠٠٠ تقريباً من البوماك (البلغار المسلمين). ويتناقص عدد الأتراك سنويا بسبب الاضطهاد البلغاري في العهد الشيوعي.

يقدر عدد المساجد الموجودة في بلغاريا بنحو ١١٦٠ مسجد، ويشرف على شؤون المسلمين بها مفتٍ أكبر، تتبعه تسعة مجالس شرعية إقليمية على رأس كل منها مفتٍ.

دخل الإسلام إلى بلغاريا عن طريقين: الأول عن طريق القرم وشمال البحر الأسود إبّان القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وحوالي ذلك التاريخ كان بلغار الفولجا يعتنقون الإسلام، والثاني عن طريق الروماللي، وهو الطريق الذي سار فيه الفتح العثماني قبل استيلاء محمد الثاني على القسطنطينية.

وقد تمّ للسلطان مراد الأول الاستيلاء على ولاية بلغاريا وضمها إلى أملاك الدولة عام ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م، وعرفت في التقسيم الإداري العثماني بعد ذلك باسم ولاية الطونة، وظلت تحت يد العثمانيين نحو ٥٠٠ سنة حتى عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م، وأعلنت مملكة مستقلة عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م.

وقد أعلن النظام الجمهوري الشيوعي في بلغاريا عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦.

بيوجراد «بلجراد»:

بلجراد أو بيوجراد أي الجبل الأبيض، عاصمة جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية سابقاً، وتقع على نهر الدانوب عند ملتقاه بالساق، أحد فروعه اليسرى في موقع استراتيجي، وتشرف عليها قلعة بلجراد التي تعرف بقلعة العرب. وتتحكم في مجرى النهر والإقليم المجاور له، وهي الآن عاصمة جمهورية صربيا بعد أن تفكك اتحاد جمهوريات يوغوسلافيا مؤخراً إلى دويلات عرقية: صربيا - الجبل الأسود - مقدونيا - كرواتيا - البوسنة والهرسك.

حاصر العثمانيون مدينة بلجراد لأول مرّة عام ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م، إبّان حكم السلطان مراد الثاني، ولكنهم صُدوا عنها، وعاود السلطان محمد الثاني حصارها عام ٨٦٠هـ/ ١٤٥٦م، بعد ثلاثة أعوام من فتح القسطنطينية ولكنه رُدّ عنها أمام دفاع هونيادي المجري.

وتم للعثمانيين الاستيلاء على المدينة عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م، بعد أن حاصرها السلطان سليمان القانوني مدة شهر ونصف الشهر، وضرب أسوارها بالألغام، ثم ألحقت بعد ذلك بولاية البوسنة. وظلت بلجراد في يد العثمانيين حتى عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٦٧م، باستثناء فترات قصيرة؛ إذ استولت عليها النمسا عام ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٨م، واستولى عليها الصرب عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م.

وتعرضت بيوجراد للتخريب إبّان الحربين العالميتين الأولى والثانية، ولم يبق من آثار العهد العثماني بها سوى قلعتها ومسجدها الوحيد.

البوسنة والهرسك:

إحدى الولايات الست التي كانت تكون جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية فيما مضى. تبلغ مساحتها ٥١٠٠٠ ميل مربع، وعدد سكانها نحو ٤١٢٤٢٥٦ نسمة (إحصاء ١٩٨١م)، ومنهم يتجمع العدد الأكبر من المسلمين في يوغوسلافيا والذين تبلغ نسبتهم ١٢,٣٪ من مجموع السكان البالغ عددهم نحو ١٧ مليوناً.

وعاصمة البوسنة والهرسك هي سراجيفو أو (بوسنة سراي)، ويبلغ عدد سكانها نحو ١٥٠٠٠٠ نسمة. ومن المدن المهمة الأخرى بنجالوكا ٤٠٠٠٠ نسمة، وموستار ٣٤٠٠٠ نسمة، وتوزلا ٣٢٠٠٠ نسمة.

بدأ اتصال الأتراك العثمانيين بهذا الإقليم منذ عام ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م، بعد أن تمّ لهم فتح القسطنطينية عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، ومع ذلك كانت المجر تفرض نفوذها على بعض المناطق الشمالية المجاورة لها. ولم تدخل البوسنة والهرسك في حوزة العثمانيين إلا بعد أن اجتاح السلطان سليمان القانوني المجر عام

٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م، فتحولت منذ ذلك التاريخ إلى ولاية عثمانية ودخل كثير من أهلها - لا سيما من بين الطبقات الحاكمة والمثقفة - في الإسلام، وأصبح يحكم الولاية (بك) حتى عام ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م، ثم عُدَّ (بشلكا)، وكان فرهاد باشا صقولقتش - وهو من أصل صربي - أول الباشوات الذين حكموا هذا الإقليم، وآخر هؤلاء الولاة هو أحمد مظهر باشا الذي عاصر احتلال النمسا للبوسنة والهرسك عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٨١م، وفي عام ١٣٢٦/١٩٠٨م ضمت إلى إمبراطورية النمسا والمجر حتى قيام دولة يوغوسلافيا عام ١٣٣٧/ ١٩١٨م.

وبعد خروج العثمانيين من البوسنة والهرسك تأسس مجلس إسلامي أعلى للإشراف على شؤون المسلمين الدينية في الإقليم من رئيس وأربعة أعضاء، ويمتد إشرافه على مجالس النواحي التي يرأس كل منها مفتٍ.

وتعنى تلك المجالس خاصّةً بإدارة الأوقاف الإسلامية، والإشراف على مدارس المسلمين وأهمها كلية الشريعة في سراجيفو.

بوخارست:

عاصمة جمهورية رومانيا، وتعرف في المراجع التركية باسم (بكرش). وتقع في حوض الدانوب الأدنى على مسيرة ٥٠كم من مجرى النهر، كانت إبّان القرون الوسطى عاصمة لأمراء (ولاشيا) الأفلاق. وفي عام ٨٦٦هـ/ ١٢٦٢م استنجد الأفلاق بالعثمانيين للتخلص من حكم ملاد الملقب بالأمير الأسود، فوضع السلطان محمد الثاني بلاد الأفلاق تحت حمايته ونصَّبَ رادو الثاني (رادوله) أميراً عليها، وأقام حامية عثمانية عند جورجيو في جنوب بوخارست.

وفي عام ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م، استولى الصدر الأعظم سنان باشا على المدينة، وضم بلاد الأفلاق إلى الدولة بعد مقتل أميرها ميخائيل. وقاست المدينة سلسلة من التخريب بسبب الفتنة والطواعين والحريق، وانتهى حكم العثمانيين فيها بعد معاهدة برلين عام ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م.

وقد عقدت معاهدة بوخارست عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، بين الدولة العثمانية وبعض دول البلقان على إثر الحروب البلقانية الثانية، وفيها تنازلت تركيا عن البقية الباقية من أملاكها الأوربية بالبلقان.

وفي معاهدة لوزان في ٢٤من يوليو ١٩٢٣م جعلت الدول حدود تركيا في الغرب نهر مارتيزا بما في ذلك أدرنة.

بودابست:

عاصمة جمهورية المجر الشعبية، وتقع على ضفتي نهر الدانوب. واتصل تاريخها بالتوسع العثماني في شرق أوربا منذ الثلث الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

استولى السلطان سليمان القانوني على مدينة بودين عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م، بعد هزيمة لويس الثاني ملك المجر في معركة موهاكس (موهاتس) الأولى.

وبعد ذلك استولى السلطان على قلاع بشته وزجوين وبج وغيرها، وبذلك بسط العثمانيون حمايتهم على المجر.

وفي عام ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م ضمت المجر إلى أملاك العثمانيين، وأصبحت بودابست تابعة مباشرة للدولة، وعين لها ما يلزم من الموظفين كالوالي والقاضي والدفتردار وقائد المعسكر.

ودام حكم العثمانيين لبودابست ١٦٥ سنة؛ حيث انتهى عام ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م، باستيلاء الدوق لورتنجن النمسوي عليها بعد حصار طويل، استشهد فيه عبدي باشا، آخر محافظ تركي لبودابست، كما قتل من حاميتها نحو ٤٠٠٠ رجل.

سليمان القانوني:

العاشر من سلاطين الدولة العثمانية ويعرف بسليمان الأول، وتتحدث عنه بعض المصادر الأوربية على أنه (سليمان الفاخر)؛ لأنه كان يمثل العصر الذهبي للأتراك العثمانيين، ولُقِّبَ بالقانوني بسبب التشريعات الإصلاحية التي سنّها وجعلها دستوراً للحكم.

ولد عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م، وهو الابن الوحيد للسلطان سليم الأول، خلف أباه بعد وفاته عام ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، ودام حكمه نحو نصف قرن من الزمان، وكان من معاصريه فرنسوا الأول في فرنسا، والإمبراطور شارل الخامس (شرلكان) في ألمانيا وإسبانيا، وهنري الثامن في إنجلترا، وإيفان الثالث في روسيا، وفي إيران الشاه إسماعيل ثم طهماسب، وفي الهند الإمبراطور بابر ثم همايون أكبر.

ورث سليمان إمبراطورية امتدت من حدود النمسا غرباً حتى مشارف إيران شرقاً، تكونت نتيجة لسلسلة من الانتصارات الحربية، وقد ضمت شعوباً وقوميات مختلفة العقائد واللغات، فكان ذلك من الأسباب التي جعلت الحرب وسيلة لا بديل لها من أجل الاحتفاظ بهذا الميراث. وقد تعددت جهات القتال برّاً

وبحراً كما تعددت الدول التي وقفت موقف العداء للسلطان، وزاد من هذا الخطر الأحلاف والاتفاقات التي عقدت للقضاء على حركة التوسع الإقليمي في أوربا أو آسيا على السواء، وتيسيراً لإبراز معالم التاريخ العسكري المتشابك لعصر سليمان القانوني يمكن تقسيمه إلى أربع جبهات رئيسة:

الحروب الأوربية، والحرب الآسيوية، الحرب البحرية في البحر المتوسط، والصراع في المحيط الهندي والبحر الأحمر.

عقدت خلال حكم سليمان القانوني ستة أحلاف أوربية للقضاء على الدولة برّاً وبحراً، اشتركت فيها المجر والنمسا والبندقية وبولندا وألمانيا وإيطاليا والبابا وإسبانيا ومولدافيا، وفرسان القديس يوحنا في رودس، ثم في مالطة فضلاً عن البرتغال في البحار الشرقية.

أما فرنسا فقد كانت حليفةً طبيعية للدول بسبب الصراع الدموي بين فرنسوا الأول وشارل الخامس (شرلكان الإسباني)، ولم يكن لإنجلترا أو روسيا أو السويد عظيم شأن في هذه التكتلات.

فكانت المجر الميدان الرئيس للحروب الأوربية العثمانية، وبدأت الحروب بعد شهور من تولي السلطان عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م، بسبب تدخل ملك المجر لويز الثاني في شؤون البوسنة، وقتله سفير السلطان الذي بعثه لتسوية ما بين الدولتين، فخرج السلطان من أدرنة، ومعه عدد من مشاهير قواده. وفي ٢٦ من رمضان ٩٢٧هـ/ ٧ يناير ١٥٢١م استولى على بلجراد، وضُمَّتْ إلى ولاية البوسنة، وكانت بلجراد أقوى حصون المجر، كما استولى على عدد من القلاع الأخرى.

وفي عـام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م تجـدّد القـتـال بين المجـر والدولـة أثناء انصـراف السلطان إلى فتح جزيرة رودس، فخرج السلطان إلى المجر يتقدمه جيش بقيادة الصدر الأعظم إبراهيم باشا، وعلى سهل موهاكس (موهاتس)، جرت المعركة الفاصلة في ٩٣٣هـ/ ٣٠/ ٨/ ١٥٢٦م، التي أفقدت المجـر استقلالهـا ومهدت لضمها إلى أملاك الدولة العثمانية، وفيها قتل الملك لويز.

وبدأت الحـرب مع النمسـا في عـام ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م، بمحـاولة فرديناند ملك النمسا الذي ضمَّ المجر إليه بدعوى الوراثة، ومعادياً زابولي خليفة لويز الثاني الذي استنجد بالدولة، فخرج السلطان مرّةً أخرى إلى المجر، وحاصر العاصمة المجرية بودا، واستولى عليها بعد استسلام حاميتها النمسوية، ومنها سار إلى حصار فيينا في سبتمبر ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م، أي في نفس العام، وامتدت إلى العام التالي ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م، وفي خلال ذلك بلغ السلطان مدينة جراتز النمسوية. وفي عام ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م خرج السلطان إلى المجر فاستعاد مدينة بودا التي كان الملك فرديناند قد استولى عليها، وضُمَّت المجر منذ ذلك التاريخ نهائيا إلى الدولة.

وفي عام ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م خرج للمرّة العاشرة إلى المجر، وفك الحصار عن مدينة بست، وتجددت الحرب عام ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م، فأغار صوقللي محمد باشا على النمسا، ونجح في هزيمة النمسا وحلفائها، وفي خلال ذلك كان الصراع في البحر المتوسط بين الأساطيل الأوربية المتحالفة ـ والدولة على أشده.

كانت الأحلاف الأوربية ضد الدولة أكثر نشاطاً على مياه البحر المتوسط، وبرز بين الجانبين عدد من مشاهير أمراء البحر، ففي عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م، فتح السلطان وبرفقته بيلان مصطفى باشا جزيرة رودس، فهجرها فرسان القديس يوحنا إلى مالطة. وفي عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م عُقِدَ حلفٌ ضم البابا وإسبانيا وإيطاليا والبندقية ومالطة، وأمام جزيرة كورفو جرت أولى المعارك البحرية، وانتهت بتخريب أسطول الحلفاء، وهرب قائده بما تبقى من سفن، وردّ الحلفاء على الهزيمة بحملة بحرية عام ١٥٤١م، على الجزائر التي كانت تابعة للسلطان، لكن الحملة منيت بالهزيمة.

وفي عام ٩٦٧هـ/ ١٥٦٠م، وقعت معركة جربة على الساحل التونسي، وانتهت بكارثة للحلفاء، وفرّ القائد الأوربي تاركاً ما بقي من سفن الأسطول، وعليها كثيرٌ من أمرائهم وقوادهم في يد بيالة باشا، القائد العثماني.

وفي عام ٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م، كان حصار جزيرة مالطة، وفيها توفي القائد التركي بسبب جراح أصابته، ورفع الحصار عن الجزيرة، ثم كان الاستيلاء على جزيرة سافر ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م، آخر العمليات البحرية المهمة إبّان حكم السلطان.

وكان من نتائج استنجاد ملك فرنسا فرنسوا الأول بالسلطان عام ٩٥٠هـ/ ١٥٤٢م، في حربه مع شرلكان أن أرسل السلطان أسطولاً من ١٠٠ سفينة بقيادة خير الدين بربروسة لمساعدة العمارة الفرنسية، فاستولى أمير البحر العثماني على مدينة نيس، كما أغار على سواحل إسبانيا، وكانت هذه آخر المعارك التي اشترك فيها خير الدين قبل وفاته عام ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م.

وتجددت الحروب مع إيران منذ العام الأول لتولي السلطان سليمان القانوني، واستمرت الحروب بتولية طهماسب، الذي راح يؤلب أمراء الأناضول وولاة الأقاليم الشرقية على الدولة. وفي عام ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م، حاصر الشاه مدينة بغداد لكنه لم يلبث أن أخلاها في العام التالي بعد أن قدم السلطان بنفسه لقيادة الجيش، ثم استعاد الحِلَّة والنجف وكركوك، ومدّ فتوحاته إلى لورستان. وانتهت هذه المعارك بصلح مؤقت؛ فقد تجددت الحرب عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م، باستيلاء الشاه على أرضروم، فخرج السلطان إلى الشرق واستولى في طريقه على وان، وتبريز ومراغة من أملاك الشاه. وطلب الشاهُ الصلح فعقدت أول معاهدة بين الدولتين عام ٩٦١هـ/ ١٥٥٤م، تضمنت عدا البنود السياسية إباحة الحج للإيرانيين الشيعة، ومزاولة شعائرهم دون معارضة.

جرت البرتغال على تخريب الاقتصاد العثماني بتحويل تجارة الشرق إلى طريق رأس الرجاء الصالح، وأقامت البرتغال لها مواقع حصينة على سواحل الخليج والهند وإفريقية الشرقية حتى مدخل البحر الأحمر، فدفع ذلك السلطان سليمان للاهتمام بالأسطول في البحر الأحمر والمحيط الهندي.

واستولى الأسطول على عدن وانتهى إلى ساحل الهند، وحاصر ديو دون نتيجة، وأثناء عودته ضم اليمن إلى أملاك الدولة.

وفي عام ٩٥٩هـ/ ١٥٥١م، استولى العثمانيون على ميناء مسقط وجزيرتي هرمز ودراخت من جزر الخليج، والتحم مع الأسطول البرتغالي في حملة تالية بالقرب من جزيرة هرمز وأغرق أكثر سُفُنه.

وتوفي السلطان سليمان القانوني بمرض النقرس في ٢٠من صفر ٩٧٤هـ/ الأول من سبتمبر ١٥٦٦، وخلفه ابنه الوحيد سليم الثاني.

علي عزت بيجوفيتش:

ولد عام ١٩٢٥م، ودرس القانون والآداب والعلوم في مطلع حياته، وحصل على ثلاث درجات علمية فيها، واشتغل مستشاراً قانونيا لمدة ٢٥ عاماً، ثم اعتزل بعدها وتفرغ للكتابة. حكم عليه بالسجن خمس سنوات مع الأشغال الشاقة، وكان عمره ٢٤ عاماً. وكانت تهمته أن له علاقة بمنظمة الشباب المسلمين؛ وهي منظمة أسسّها بعض علماء البوسنة الذين تلقوا تعليمهم في الأزهر الشريف، وكان لها أثر في إيواء المهاجرين وكفالة الأيتام ومساعدة الفقراء، وكان علي عزت بيجوفتش من أبرز أعضائها.

وعندما استولى الحزب الشيوعي على السلطة بقيادة تيتو نصب المحاكم لعلماء المسلمين وأعضاء حركة الشبان المسلمين.

وكان علي عزت بيجوفتش يدرك المخاطر التي تحاصر الأجيال الجديدة من شباب المسلمين كان يخشى على هؤلاء الشباب من فقدان هويتهم والضياع، ومن ثم فقد تحرك لتأليف كتاب بعنوان الإعلان الإسلامي، وشرع في تأليف كتاب عن (الإسلام بين الشرق والغرب) لم يتمكن من نشره بسبب إيداعه السجن، لكن أحد أصدقائه استطاع أن يهرب بأصول الكتاب من يوغوسلافيا إلى كندا، وتم نشره في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٤م، وأعيد طبعه عام ١٩٨٩ .

كان أمام الشباب المسلم في يوغوسلافيا ثلاثة خيارات في ظل الحكم الشمولي لتيتو:

* إما الإلحاد الرسمي الذي يتبناه النظام الشيوعي الحاكم.

* أو الكاثوليكية الكرواتية.

* أو الأرثوذكسية الصربية التي تلاحقهم في المجتمعات المحلية.

وكانت ألمانيا الغربية تحتضن الكروات الكاثوليك، وبريطانيا تدعم حلفاءها التقليديين من الصرب، ولم يكن للمسلمين أحد يقف معهم حتى تخفف الحكومة ضغطها عليهم. كان عدد المسلمين يومئذ ستة ملايين، ولم تكن لهم حقوق معترف بها، ولا مدارس يتلقون العلم فيها ويتعرفون منها مبادئ دينهم، ولا كتب يعرفون منها عقيدتهم.

وقدم علي عزت بيجوفتش إلى المحاكمة بسبب كتابة (الإعلان الإسلامي)، وحكم عليه بالسجن ١٤ عاماً بتهمة تعكير أمن الدولة، وأصبح الكتاب وثيقة اتهام في الدوائر الصربية والدوائر الغربية.

ومع قرار انفصال الجمهوريات المستقلة عن يوغوسلافيا القديمة تولى علي عزت بيجوفتش رئاسة جمهورية البوسنة والهرسك.

* مفاهيم ترتبط بانتشار الإسلام:

يواجهُ الدارسُ لتاريخ انتشارِ الإسلامِ بأسماءِ أعلامٍ مختلفةٍ من الشعوبِ والبلدانِ التي تعاملَ معها جندُ الإسلام ودعاتهُ؛ إعلاءً لكلمة الله، وحمايةً لظهرِ الدولة الإسلاميّة. وقد فتحَ الله قلوبَ بعضِ هؤلاء للإسلامِ فاستجابوا لندائه استجابةً كاملةً، وكان منهم المخلصون الذين حملوا لواءه عبر العصور، كما عاند البعض الآخر بسبب التعصُّب الجنسيِّ أو الدينيِّ، فوقفوا من المسلمين ومن الدعوة الإسلامية موقفَ المناوأة والمكابرة، وباتوا يكيدون لها إلى وقتنا الحاضر.

على أننا لا ينبغي أن ننسى في هذا المقام أن الاستجابةَ للدعوة الإسلامية أو الوقوفَ منها موقفَ العناد والمناوأة كانا دائماً رهناً بالصورة التي يكونُ عليها حالُ أصحابِ الدعوة، أيِ المسلمين أنْفُسِهم ومَدَى ترابطهم واستمساكهم بحبل الله المتين، والتزامهم بالقيم الإسلامية الرفيعة والتعاليم الدينية الخالدة.. لذلك يجدُ الدارسُ لانتشار الإسلام عصوراً تزدهرُ فيها الدَعوَةُ الإسلاميةُ وترتفع راياتها، وعصوراً أخرى من التفكُّك والضعف يتكاثفُ فيها الشرُّ على تلك الأمَّة آملاً أن تَخْبُوَ الشعلَةُ المضيئةُ وينحسرَ دورُها في أضْيَقِ الحدود. ولَعلنا نذكر في هذا المقامِ حديثَ رسول الله ﷺ عن ابن عمر مرفوعاً الذي يقول فيه:

«لَتَغشَينَّ أمَّتي من بعدي فتنٌ كقطع الليل المظلم، يصبحُ الرجلُ فيها مؤمناً ويُمسي كافراً، ويُمْسي مؤمناً ويُصْبحُ كافراً، يبيعُ أقوامٌ دينَهم بعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا قَليل». رواه الحاكم في المستدرك وصححه.

وقد رأينا أن يتعرَّفَ الدارسُ لانتشار الإسلام أسماءَ بعضِ تلكَ الأعلامِ، ونقدمُها مرتبةً ترتيباً ألفبائيا فيما يلي :

- البربر	- بيزنطة	- التتار	- الترك
- الصقالبة	- الصليبيون	- فارس	- القرامطة
- المغول	- المماليك	- الموروس	- النورمان

* * *

البربر:

البربر شعبٌ عظيم من القبائل الكبيرة والصغيرة التي تعمر المغرب العربي كله من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلسي . وينقسم البربر قسمين كبيرين من حيث أسلوب الحياة :

* البربر البرانس : وهم الزراع وسكان المدن والسهول .

* البربر البتر : وهم الرعاة الرحل الذين يعمرون السفوح الجنوبية لجبال أطلس . وقد فَصَّل ابن خلدون في تاريخه القول في فرق البربر وأنسابهم ومواطنهم . وهو يرى سبب تسميتهم بربرًا أنّ إفريقش بن قيس - من ملوك التبابعة - سمع السكان الأصليين للشمال الإفريقي يتكلمون بأصوات مختلفة ، فأطلق لفظه (البربرة) على الكلام الذي كانوا يتكلمون به ، وهو كلام غير مفهوم له . ومن ثم أخذ السكان أنفسهم تسمية البربر . ولا علاقة لتسمية هذه الشعوب بربر بالجنس الذي ينتمون إليه ، وإنما علاقتها باللغة .

واستخدم الفرنجة تسمية البربر استخداماً سياسيا بمعناها المجازي الذي يعني المتوحشين الهمج. وكان الفرنجة يقصدون بذلك إثارة فتنة طائفية بين سكان الشمال الإفريقي وبين العرب.

ومن أشهر قبائل البربر صنهاجة ومصمودة، وهم من البرانس، وقبيلة زناتة وهي من البتر. وكانت مراكز قوة زناتة توجد في الصحاري وأقاليم الرعي الشاسعة. وكانت صنهاجة تعمر المغرب الأوسط من جبال أوراس إلى جبال الريف إلى شمال المغرب الأقصى. أما مصمودة فكانت تسكن المناطق الممتدة إلى الجنوب، بحذاء ساحل الأطلس، وفي جنوب المغرب الأقصى من وادي درعة حتى بلاد السنغال جنوباً، فكان هناك منازل مجموعة صنهاجية كبرى، كان لها دور كبير في تاريخ المغرب.

وكان البتر الرعاة هم معظم من لقيه العرب من البربر البدو الرحل من زناتة حتى موقعة سبيطلة. وكان غالبيتهم على الوثنية. وقد اجتذبهم الإسلام من أول الأمر بسبب ما وجدوا فيه من سماحة وعدالة.

وقد استعرب البربر مع انتشار الإسلام في المغرب، وتكلموا اللغة العربية، وكتبوا بها، فأصبحوا من شعوب الحضارة القارئة الكاتبة، وأصبحوا عصباً أساسيا في وحدة المغرب العربي الإسلامي.

بيزنطة:

هي المعروفة في التاريخ ببلاد الروم. ويُطلَقُ عليها بيزنظة. وسكانُها كان يُطلقُ عليهم في ذلك الوقت البيزنطيون.

كانت بيزنطة تُطلُّ على البحر المتوسط، حيث كان يُطْلَقُ عليه في ذلك الوقت بحرَ الروم، كما كَانت تُطلُّ على البحر الأسود وبحر إيجة . . وكانت أراضي بيزنطة تمتَدُّ من الشام فَمصْرَ وشمال إفريقية إلى شبه جزيرة إيبيريا .

وعندما تولّى هرقلُ عرشَ الروم عام ٦١٠م ـ وهي سنة بعثة رسول الله ﷺ كان الفرسُ قد اجتاحوا بلادَ الشام ومصرَ وهزموا البيزنطيين عند أنطاكية عام ٦١٣م، كما استولوا على فلسطين والقدس عام ٦١٤هـ، وغزوا مصر، ودخلوا الإسكندرية عام ٦١٨-٦١٩م .

لكن هرقل صمَّمَ على طرد الفرس من أراضي بيزنطة، وبدأ قتالُ الفرس عام ٦٢٢م . وفي عام ٦٢٧م أنزلَ هرقلُ بالفرس هزيمةً كبيرةً قَرْبَ نينوى، واستردّ منهم أراضيَ الدولة البيزنطية في أرمينية والشام وفلسطين ومصر . وفي عام ٦٣٠م، استردّ هرقلُ من الفرس بَيْتَ المقدس .

وهكذا كانت بيزنطةُ دولةُ الروم في أوْج قُوتها عندما تقدمَ الفاتحون المسلمون لنشر رسالة الإسلامِ في البلاد التي تَحُدُّ الجزيرة العربية من الشمال . . (بلاد الرومِ)، وانتَصر المسلمون على بيزنطة (بلاد الروم) أيضاً بِقُوَّةِ الإسلامِ وسماحته وحسن سيرته .

التَّتارُ:

قَبائلُ كانت تسكنُ شرقَ بلادِ المغول، وكانوا بَدْواً، واستمرّوا على عيشة البداوة، في حين أن جيرانهم مَن الأتراك والمغول تحضروا واستقروا بفضل الإسلام، ولم يتحضر من التتار إلا الذين هاجروا إلى الغرب ودخلوا بلاد الإسلام . أمّا بقيتهم التي ظلت في مساكنهم في بلاد الاستبس (البلاد ذات الأعشاب القصيرة) شمال شرقي بلاد المغول فقد ظلوا بَدْواً .

وإلى شمال بلاد التتار تمتد صحراء سيبريا الجليدية، وفيها عاش التتار الموغلون في البداوة. ولقد أدت وحشية التتار إلى تجمع المغول الذين أنشأوا دولة موحدة.

وكانت هجرة الأتراك الذين كانوا يقطنون مناطق بلاد ما وراء النهر وشمال التركستان وشمال البحر الأسود إلى المغرب تفسح المجال للمغول للتقدم غرباً، وفي أعقابهم أقبل التتار.

وعندما قام جنكيز خان المعروف باسم تيموجن بتوحيد المغول في صحراء منغوليا انضم إليه كثير من التتار الذين كانوا يعيشون شرقي بلاد المغول.

ولذلك فإن الحديث عن المغول في زحفهم تجاه الغرب وبسطهم نفوذهم على مناطق كبيرة من العالم الإسلامي يتضمن أيضاً التتار، فيكون الحديث عن المغول والتتار أو عن غارات المغول والتتار.

التُّرْكُ:

تبدأ المناطق التي كانت تسكنها شعوبُ الترك عند نهر المرغاب الذي يجري منحنياً من الشمال إلى الشرق جنوبي نهر جيحون. ونهر المرغاب هو الحدُّ الفاصل بين الشعوب الإيرانية والشعوب التركية في هضبة إيران.

وعندما جاء الإسلامُ، وفتح المسلمون إيرانَ اقتحم قتيبة بن مسلم الباهلي ورجالهُ الخطَّ الفاصل بين الشعوب الإيرانية والشعوب التركية وأدخلوهم جميعاً تحت راية الإسلام، وبدأ التركُ يتحركون إلى الغرب. وكانت أعدادُهم كثيرةً وقواَهُم العسكرية عظيمةً، فبدأوا يسيطرون على هضبة إيران كلِّها، ابتداءً من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ولم يحل القرنُ الثامنُ الهجري/ الرابع

عشر الميلادي حتى كان التركُ قد سيطروا تماماً على كُلِّ الهضبةِ الإيرانيةِ والعراقِ، وانفتحت أمامهم بلادُ آسيا الصغرى. ويعد الغزنويون والغوريون فروعاً من الأتراك الغزِّية.

ويرجع إسلامُ الأتراك - الغزية والقرلوق والكومان وهي فروعٌ من الأصل التركي - إلى النصف الثاني من القرنِ الرابعِ الهجري/ العاشر الميلادي. وكان إسلامهُم على أيدي التجارِ والصوفية والدعاة من العرب والإيرانيين وَكُلِّ شعوب الهضبة الإِيرانية.

وفي نواحي قره قورم وغربي بلاد التركستان كانت هناك دولتان تركيتان: الأولى هي دولةُ التركِ القراخانية، ومواطنهُم الأولى حوضُ نهر التاريم وبحيرةُ بلكاش، ثم تحركوا غرباً ودخلوا بلاد ما وراء النهر، واستقروا هناك في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وعاونهم الغزنويون على ذلك. وكان التركُ القراخانية مسلمين متحمسين فعَمروا بخارى وسمرقند وبلاد الصفد وغيرها من بلاد التركستان (ما وراء النهر)، وأنشأوا فيها المساجد الجميلة، وكانوا يعيشون على هيئة قبائلَ رغم استقرارهم. وكانت القُوَّةُ العسكريةُ تتمثلُّ في فريق منهم يسمى القولوق.

ويُعدّ التركُ القراخانيةُ أول الدُّولِ الإسلامية ظهوراً. ومع الزمن تحوّل الكثيرون منهم إلى زُرَّاعٍ، ونظَّموا أنفسهم سياسيا إلى (خانيات) مثل خانية بخارى، وخانية سمرقند، وكانت أقوى قبائلهم من فرعٍ منهم يسمى الأوزبك.

والتركمان من الترك الغزية. وكانوا مشهورين بالشجاعة والمهارة في الحرب على الخيل والرمي بالنبال، وكان لهم دور عظيم في الحروب الصليبية؛ فقد كانوا يعملون محاربين مرتزقة خارج بلادهم مع المسلمين، وكانت جماعاتهم الأولى في مواطنهم الأولى شمالي التركستان، ومن بينهم ظهر السلاجقة والأتراك العثمانيون.

الصقالبة «أو السلاف»:

كان الجغرافيون العرب في صدر الإسلام يطلقون عادة اسم الصقالبة على الشعوب المنحدرة من أصول شتى، التي كانت تنزل الأراضي المجاورة لبحر الخزر (بحر قزوين) بين القسطنطينية وأرض البلغار، وكانت كلمة الصقالبة هي الكلمة العربية التي يستخدمها العرب بدلاً من كلمة السلاف. ويصف بعض المؤرخين العربُ الصقالبةَ أو السلاف بأنهم إخوة الأرض واليونانيين والفرنجة ومن انحدروا من صلب يونان بن يافث بن نوح عليه السلام. كما يذكر هؤلاء المؤرخون أن بلاد الصقالبة تقع غربي مقدونية. ويشار إلى الصقالبة والسلاف فيذكر شعرهم ووجوههم الضاربة إلى الحمرة.

وقد تعرف العربُ الصقالبةَ (السلاف) في معاركهم الأولى مع الروم أيام الخليفة الراشد أبي بكر الصديق وأيام عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ويقال إن مسلمة في حملته على القسطنطينية عام ٩٢-٩٥هـ/ ٧١٠-٧١٣م، استولى على مدينة الصقالبة بعد اجتيازه بلاد الروم مباشرة، ووجد العرب بعض السلاف (الصقالبة) الآخرين وهم يستقرون في مملكة الخزر (بين جبال القوقاز ومجرى الفولجا الأدنى).

وكان الجنود المرتزقة السلاف (الصقالبة) قد استقروا في ولايات الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي ومن ثمّ كان تعرف العرب عليهم.

وفي عهد الخليفة العباسي المنصور كان الصقالبة (السلاف) ١٣٧-١٦٠هـ/ ٧٥٤-٧٧٧م، بين المستعمرين الذي نزلوا حدود الروم في قيلفية بجنوب غربي آسيا الصغرى.

وكان اليونان والرومان والصقالبة والفرنجة وجيرانهم في الشمال يتكلمون لغة واحدة، وفي روايات أخرى أن الصقالبة كانوا يقيمون على البحر الأدرياتي. ويذكر الإدريسي أن بلاد الصقالبة في شبه جزيرة البلقان. ويروي بعض المؤرخين كذلك أن معظم البلغار الصقالبة اعتنقوا المسيحية وخضعوا لصاحب رومة.

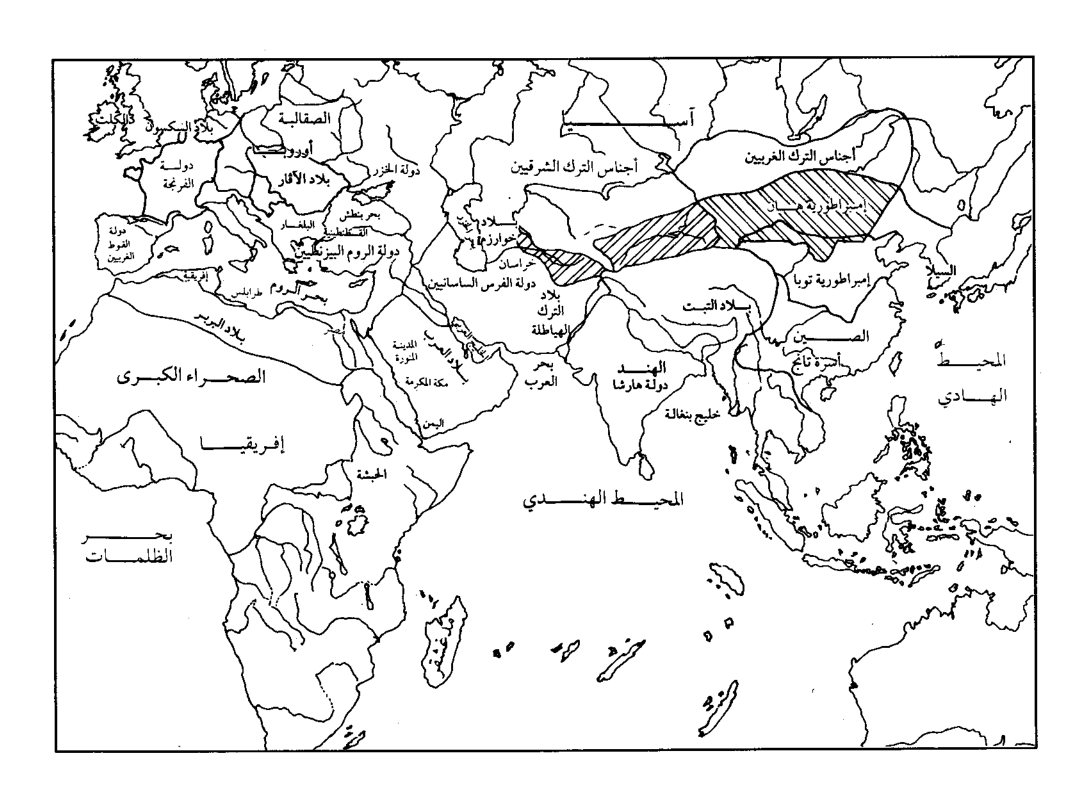
وكان الصقالبة السلاف ـ شأنهم في ذلك شأن الترك ـ يدخلون البلاد الإسلامية أحياناً أرقاء أو خصياناً للخدمة في قصور الخلفاء، وكانت الفرق الخاصة في الجيش تؤلف من السلاف (الصقالبة) أحياناً كما كانت تؤلف من الترك.

وأطلق اسم صقالبة الأندلس منذ وقت مبكر على الحرس الأجنبي لخلفاء قرطبة الأمويين، وكان اسم الصقالبة في الأندلس يطلق على جميع الأسرى الذين كانت الجيوش الألمانية تأتي بهم من حملاتها على الصقالبة، ثم يبيعونهم للمسلمين في الأندلس.

واستخدم اسم الصقالبة في الأندلس أيضاً في عهد مبكر يعود إلى عهد الرحالة ابن حوقل للدلالة على جميع الأرقاء المجلوبين الذين يلتحقون بالجيش أو يعملون في شتى المناصب، في الحريم، وفي قصور الخلفاء.

ويذكر ابن حوقل أنه في الزمن الذي اجتاز فيه شبه الجزيرة الإيبيرية كان الصقالبة هناك لا يفدون من شواطئ البحر الأسود فحسب، بل كانوا يفدون أيضاً من جهات أخرى مثل بلاد الفرنجة وجليقية (بشمال الأندلس) ولومبارديا.

وكان معظمهم- فيما يظهر- ممن جلبهم المغاربة والأندلسيون في حملاتهم على السواحل الأوربية للبحر المتوسط. وكان من يستخدم منهم لحراسة الحريم بضاعة خاصة يتاجر بها اليهود الذين احترفوا حرفة (صناعة الخصيان) ومارسوها في فرنسا في فردون. وكان معظم أولئك الأسرى عند وصولهم إلى الأندلس لا يزالون بعد في شرخ الشباب، فكانوا سرعان ما يتحدثون العربية ويعتنقون الإسلام. وقد زادوا زيادة كبيرة أيام عبد الرحمن الثالث، حتى بلغ عددهم ما يقارب ١٣٧٥٠ نسمة. وقد تولوا في ذلك الزمن مناصب مرموقة في المجتمع، رغم أنهم كانوا من الأرقاء. وكان منهم علماء مشاهير وشعراء، ومنهم مُحبّون لاقتناء الكتب. ومنهم حبيب الصقلابي الذي صنّف في عهد هشام الثاني كتاباً كاملاً أشاد فيه بفضل أدباء الصقالبة من الأندلسيين، وهو كتاب (الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضل الصقالبة).



الصليبيون:

الصليبيون مقاتلون من أوروبا كانوا يحملون الصليب على صدورهم ويتجهون في حملات حربية منظمة نحو الشرق الإسلامي بدعوة تخليص الأماكن المقدسة من المسلمين وتأمين الحج إلى تلك الأماكن للنصارى.

وكانت الحروب الصليبية استجابة لنداء البابا جريجوري السابع الذي كان واسع الطموح، وأحسّ أن تحت يده قوة يمكن أن يستخدمها لتوحيد بلاد الغرب الأوربية تحت لواء الكنيسة في مشروع كبير لتوحيد الكنيستين البيزنطية والكاثوليكية للتصدّي للإسلام.

وإذا كانت الفرصة لم تسنح للبابا جريجوري السابع باستكمال مشروعه الكبير في حياته عندما توفي عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٥م، فقد خَلَفَهُ البابا أوربان الثاني على السير قدماً في تحقيق هذا المشروع.

كانت الكنيسة البيزنطية في الشرق قد أحست بالخطر الكبير يتهددها بعد أن انتصر السلطان السلجوقي ألب أرسلان على الإمبراطور البيزنطي رومانس الرابع في موقعة ملاذكرد عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م. وكانت ملاذكرد في أقصى شمالي أذربيجان، لكن ذلك الانتصار فتح الطريق أمام قبائل الترك لتدخل آسيا الصغرى (بلاد الدولة البيزنطية)، وليؤسسوا فيها سلطنة سلجوقية عُرِفَتْ باسم سلطنة سلاجقة الروم، وأخذت تلك السلطنة توسع نفوذها شرقاً، وهذا جعل الإمبراطور الكسيوس كومنين، إمبراطور الدولة البيزنطية - يحس بالخطر على الإمبراطورية ويستعين بالخطر الأوربي لدفع الخطر السلجوقي.

كانت الحروب الصليبية ٤٨٧-٨٢٩هـ/ ١٠٩٥-١٤٦٢م، فرصة متاحة لتحقيق القدر الكبير من أطماع الغرب النصراني في ديار الإسلام، فقد أدرك قادة النصرانية أن قوى المسلمين كانت آخذة في التراجع والتقهقر بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس ٤٢٢هـ-١٠٣١م، وانقسام الأندلس الإسلامي إلى دويلات (ممالك الطوائف)، وكان النورمان قد نجحوا في استعادةصقلية من أيدي المسلمين ٤٥٤-٤٨٤هـ/ ١٠٦١-١٠٩١م، وعمت الغرب الأوربي رُوحٌ من الحماس الديني في وقت تضاعف فيه عدد السكان، وصاروا يحلمون بأرض جديدة موفورة الخيرات، في وقت شاع فيه أن السلاجقة يعتدون على الحجاج النصارى إلى بيت المقدس، ويعتدون على الأماكن المقدسة.

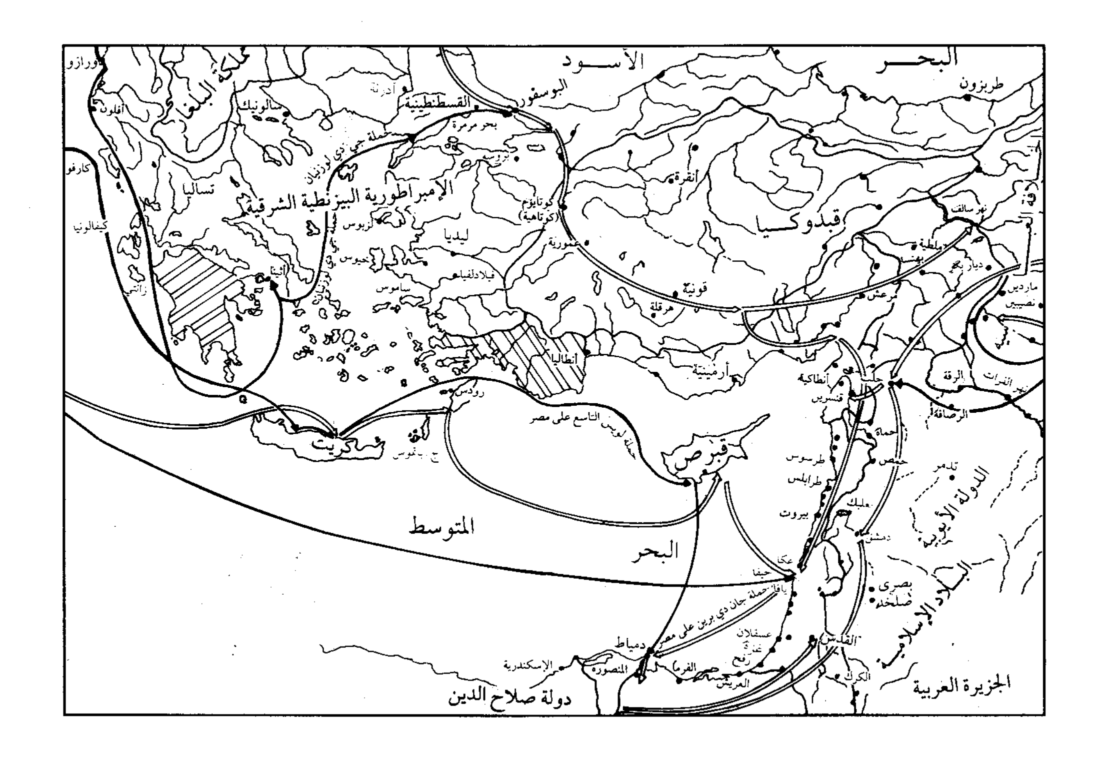
لقد استمرت الحروب الصليبية على مدى أربعة قرون تدخلت خلالها أسباب عديدة لاستمرار تلك الحروب ووجهتها أهداف لا تمت بصلة إلى إنقاذ الأماكن المقدسة، منها طمع الكثيرين من نبلاء الغرب في إنشاء ممالك لهم في بلاد المسلمين ونهبها وسلب ما تيسر من خيراتها، ومنها روح المغامرة والرغبة في إظهار البطولة لدى بعض من شاركوا في تلك الحروب، بل يرى بعض المؤرخين أن الحروب الصليبية ليست إلا حلقةً من سلسلة طويلة تتمثل في الصراع الطويل الذي كان يستعرُ بين الشرق والغرب، مبتدئاً بحرب طروادة وفارس في الأزمنة الغابرة، ومنتهياً بالتوسع الاستعماري الأوربي في العصر الحديث.

لقد ظهرت خلال الحروب الصليبية بطولات إسلامية رائعة، أبلى فيها أتابكة الموصل وحلب وسلاطين مصر، وكانت فيها مواقع خالدة مثل موقعة حطين ٥٨٨هـ/ ١١٨٧م، واستعادة القدس بهمة وشجاعة صلاح الدين الأيوبي. وعرف الصليبيون خلال تلك الحملات بسالة الشعوب الإسلامية في دمياط ٦١٨هـ/ ١٢٢١م، وفي ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م. واستعاد المماليك ما كان بيد الصليبيين من بلاد الشام، بل قضى المماليك على آخر ما كان لهم من قواعد هناك بعد أن نجحوا في إسقاط عكا ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، وبسقوطها تمت تصفية بقية القواعد القريبة منها مثل صور وصيدا وحيفا وبيروت وطرطوس، بل لقد استولى المماليك بقيادة السلطان بارسباي على قبرص بعد ثلاث حملات دفع بها المماليك إلى تلك الجزيرة التي كانت وكراً للصليبيين قرب السواحل الإسلامية، وكان آخر تلك الحملات عام ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م.

وظلت قبرص تابعة لسلطان المماليك حتى مجيء العثمانيين إلى مصر عام ٩٢٣هـ- ١٥١٧م.

إن ما عرفه العالم أجمعُ عن سماحة الإسلام حتى مع المحاربين المعتدين على دياره ومَنَّ الإسلامُ عليهم بالعفو والفداءِ في أوقاتٍ عصيبةٍ لازال حتى اليوم حديثَ المؤرخين لتلك الفترةِ يكتبون فيه دون تَحيز أو حَيْدٍ عن الحقائق التي لا يمكن الإغضاءُ عنها على مدى سِني تلك الحروبِ.

(انظر الخريطة)



القرامطة «٢٧٧-٤٦٩هـ/ ٨٩١-١٠٧٧م»:

يرى بعض المؤرخين أن تسمية القرامطة ترجع إلى الداعية الذي أخذ يروج لتلك الدعوة بأرض الكوفة بالعراق وهو حمدان بن الأشعث، ولُقِّبَ قُرْمُطاً لأنه كان قصيراً ورجلاه قصيرتين. ويرى آخرون أن لفظة قرمط تعني المعلم السري. وقد أطلق لفظ القرامطة عليهم لما يحفل به مذهبهم الديني من أسرار تتأثر في بعض من محتواها بالعقيدة الإسلامية الصحيحة.

وعندما ذاعت أفكار القرامطة بين الراغبين في المال والسلطة والجاه، والذين يميلون بطبائعهم إلى التحلل من التكاليف الدينية التي يفرضها الإسلام، وانضم إليهم الكثيرون من هؤلاء تحولت حركة القرامطة إلى حركة سياسية يتطلع أصحابها

إلى إقامة دولة وجيش وحكومة، واتخذوا من إحدى القرى القريبة من الكوفة عاصمة لهم فأقاموا حولها سوراً عرضه ثمانية أذرع وخلفه خندق عظيم، وبنوا داخل السور المباني الكثيرة وأطلقوا على تلك العاصمة دار الهجرة، وتحوّل الرجال والنساء إليها في غفلة من الخلافة العباسية التي كانت مشغولة بمحاربة الفتن.

وقد اتسعت دولة القرامطة لتشمل منطقة البحرين، وامتدت امتداداً فسيحاً على الخليج العربي، وضمت بعض مناطق البدو المجاورة لمنطقة الخليج.

وهاجم القرامطة مناطق متعددة في العراق والشام وعمان والحجاز ومصر بهدف السلب والنهب لإشباع مطامع الأتباع، وقد عطل القرامطة الحج في بعض السنوات بانتهاك حرمة البيت الحرام وبالعدوان على الحجاج وتعطيل الصلاة بتدمير المساجد.

وهاجم القرامطة البصرة في عامي ٣٠٧هـ- ٣١١هـ/ ٩٢٠-٩٢٤م، ووضعوا السيف في رقاب أهلها وانتصروا انتصاراً ساحقاً، وقُتل من أهل البصرة خَلْقٌ كثيرٌ.

وأقام القرامطة بالبصرة ١٧ يوماً، نهبوا فيها ما استطاعوا جمعه من الأموال والأمتعة والسبايا، ثم عادوا إلى هجر عاصمتهم.

وفي عام ٣١٢هـ/ ٩٢٥م، هاجم القرامطةُ الكوفةَ، وانتصروا على جند الخلافة وسلبوا المدينة ودمَّروها، وعادوا إليها مرّة أخرى عام ٣١٥هـ/ ٩٢٨م، للغرض نفسه.

كما هاجم القرامطة مكة المكرمة عام ٣١٢هـ/ ٩٢٥م، وأنزلوا بالحجاج في طريق عودتهم من مكة المكرمة كل سوء فنهبوا أموالهم وأمتعتهم وقتلوا منهم أكثر من ألفي حاج.

وفي عـام ٣١٧هـ/ ٩٣٠م دخل القـرامطة مكة المكرمـة، واقـتلعـوا الحـجـر الأسود، كما اقتلعوا أبواب الكعبة وأستارها واستولوا على أموال أهل مكة، ولم يستجيبوا لطلب الخليفة الفاطمي إذ ذاك بردِّ الحجر الأسود إلى الكعبة، وظل الحجر الأسود لدى القرامطة نحو ٢٢ عاماً.

وهاجم القرامطة مناطق عديدة أخرى في الجزيرة العربية والعراق، منها عين التمر والأنبار، بل هددوا بغداد ذاتها.

وإذا كان القرامطة قد عاصروا على مدى قرنين من الزمان بعض الحركات في الدول الإسلامية كالطولونيين والإخشيديين والحمدانيين والصفاريين فقد كان القرامطة أطول عمراً وأثقل وزناً . . وكان لا بد لشمس القرامطة أن تغيب؛ فقد كان القرامطة يناوئون قوتين كبيرتين في العالم الإسلامي هما الدولة العباسية والدولة الفاطمية، ولم يكن بوسع القرامطة مقاومة هاتين القوتين. هذا إضافة إلى أن الانقسام كان قد بدأ يدب في صفوف القرامطة، فتحاربوا. وكان من أسباب ضعف القرامطة صراعهم ضد مصر وما أنزلته بهم من هزائم.

وفي عام ٣٧٨هـ/ ٩٨٩م، خرج إليهم رجل من بني المنتفق، اسمه الأصفر - في جمع كبير من الرجال، فقتل قائد القرامطة، وانهزم جيشه وأسر منه عدد كبير. وسار الأصفر إلى الأحساء ثم القطيف، وأخذ ما كان في القطيف للقرامطة من الأموال والعبيد والمواشي، وسار بهم إلى البصرة. ولم ينتصر للقرامطة بعد ذلك جيش، ولزموا أراضيهم. وتخلّى عن القرامطة عدد كبير من المتشيعين لهم، كما خرجت عليهم كثير من البلدان التي كانت تدين لهم بالطاعة.

وانتهى شأن القرامطة تماماً بعد موقعة الخندق عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م بالأحساء بين الجيش العباسي والقرامطة.

المغول:

كان المغول قبائل همجية وحشية، يعيشون قطعاناً ضخمة تسكن بيوتاً من شعر الماعز، تنتقل في الهضبة الآسيوية الشاسعة التي تمتد من أطراف الصين غربي سور الصين العظيم إلى أواسط آسيا باحثين عن الرزق والمراعي. وكانوا لا يكتفون بالمراعي الحرة التي لا يملكها أحد، وإنما يستولون على المرعى وعلى المزارع المملوكة للآخرين ليحصلوا منها على فائدة سريعة دون عناء أو جهد، ثم يتركونها بحثاً عن غيرها.

وكان المغول يقضون على كل ما يقابلهم من مظاهر الحضارة، فيهدمون المباني ويحرقون الكتب ويقتلون المفكرين والعلماء.

وقد استطاع جنكيز خان أحد زعماء هذه القبائل أن يكوِّن منها وحدة أصبحت آنذاك خطراً على الحضارة الإنسانية. وقدر له النجاح، فبسط سلطانه على معظم الصين وبلاد التركستان حتى حدود إيران.

وقد وقف خلفاء جنكيز خان على أبواب العالم الإسلامي، وآلت قيادتهم إلى هولاكو، حفيد جنكيز خان، فزحف بجيوشه الجرارة على العالم الإسلامي، حتى وصل بغداد، عاصمة الخلافة، وقبض على الخليفة العباسي المستعصم بالله، وأباح العاصمة لرجاله مُدّة أربعة أيام، ثم قتل الخليفة مع الكثيرين من أفراد أسرته. وزالت بذلك الخلافة الإسلامية من بغداد عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.

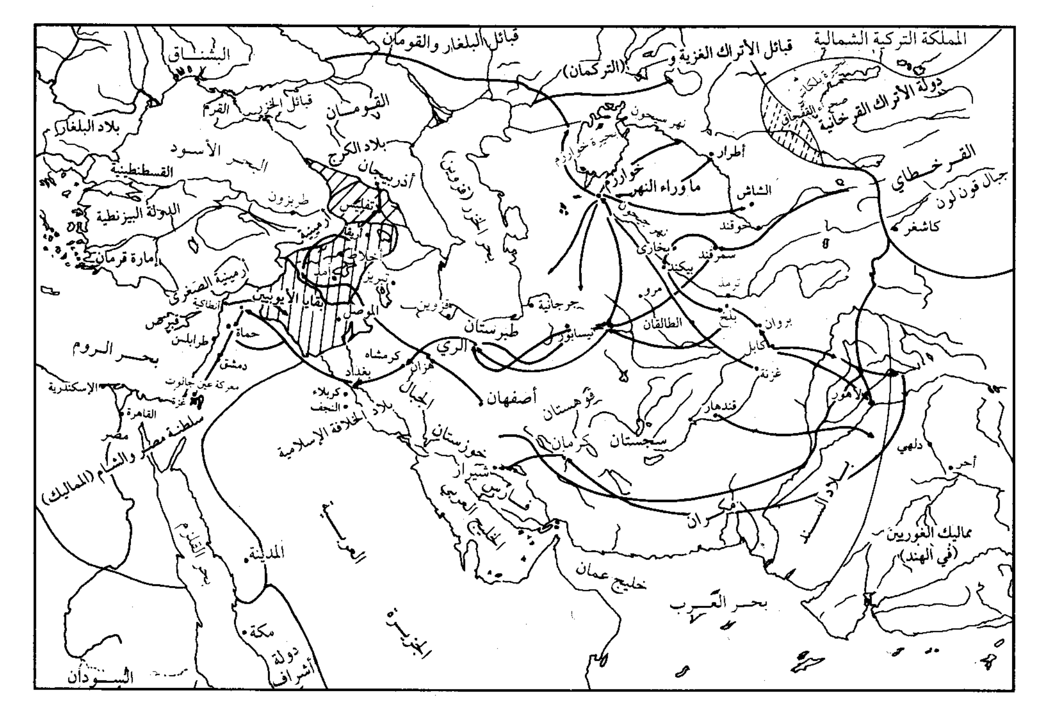
ومن بغداد زحف هولاكو إلى الشام، فاحتل حلب، وقتل خمسين ألفاً من سكانها، ثم احتل حماه ودمشق، وعقد معاهدة مع أنطاكية اللاتينية للتعاون ضد المسلمين.

ثم تقدم المغول بسرعة، فاحتلوا نابلس، وقتلوا حاميتها، ثم تقدموا إلى غزة دون أن يلقوا مقاومة وأصبحوا بالقرب من حدود مصر.

ولولا شجاعة السلطان قطز وبسالة أمير الجيوش بيبرس في موقعة عين جالوت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م لتغير تاريخ الشرق الإسلامي.

فقد هُزم المغول في تلك الموقعة، ولاحقهم بيبرس إلى الشمال، فأنزل بهم هزيمة أخرى في قيسارية بآسيا الصغرى، واسترد بذلك مملكة السلاجقة التي كان المغول قد استولوا عليها.

وكان من نتائج موقعة عين جالوت أن دخل الكثير من المغول في الإسلام. ولقد عاد تيمور لنك مرّة أخرى في أواسط القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وكان يعتزم الهجوم على مصر بعد أن سقط الشام في يده. لكن المنية عاجلته، واستطاع المماليك أن يستعيدوا الشام مرّة أخرى.



المماليك:

المماليك أصلاً أطفال ينتمون إلى قبائل بدائية بسيطة، كانت تعيش في بلاد تركستان وبلاد ما وراء النهر والدّيلَمِ والخزر والسودان والنوبة، بل كان هنا أيضاً أطفال من شبه جزيرة القرم، وبلاد القوقاز والقفجاق وآسيا الصغرى وفارس يُباعون للتخلُّص من تَحَمُّل تَبعاتهم، ولكي يضمن له الآباء مستقبلاً أفضلَ مما ينتظرهم في بلادهم. وكانَ هناك أيضاً أطفالٌ يُخْتَطفون من ديارهم وأسرهم ويُرْسَلون هدايا للخلفاء.

وكان هؤلاء الأطفال يُجْلَبون إلى مصرَ وإلى غَيْرها من البلدان وهم في عمر الأزهار لتَتم تربيتهُم وإعدادُهم في ضوء الأهداف المرسومَة لتنشئتهم.. كان هؤلاء الأطفالُ يعرضون على السلاطينَ فَيخْتارونَ منهم مَن هو أحسنهُم قامةً

وصحةً، ومن يبدو عليه الذكاءُ والنجابةُ، فإذا تَمَّتْ عمليةُ الشِّراء وَضَعهم السلاطينُ في أبراجٍ خاصَّة بهم، ورَتَّبوا لهم من الفقهاءِ والعلماء من يُلقنونهم الدينَ والعلومَ، ويأخذونهم بالالتزامِ بأداءِ الفرائض، فإذا تمَّ ذلك وتقدمت بالمماليك السِّنُّ نحو الشباب وكلوا إلى مدربين عسكريين لتلقينهم النظم العسكرية وفنون الحرب . . فإذا تم للملوك ذلك انتقل لخدمة سيده ليلحق بحرسه الخاص أو بديوان جيشه، وربما وصلت به مواهبه إلى الصدارة.

ولقد كان هناك عصر طويل كان المماليك فيه هم نواة الجيوش في بقاع مختلفة وأقطار متعددة من العالم. وكان بَدء ظهورهم في العالم الإسلامي مع العباسيين في عصر المعتصم، ثم حذا حَذْوَه السامانيون، وسبكتكين في الدولة الغزنوية وأمراءُ الأندلس وخلفاؤها، كما كان العبيد والمماليك يكونون الجيوش في العهد الإقطاعي بأوربا.

ولا بد لنا أن نوضح أن المماليك من وجهة نظر الإسلام لم يكونوا في البلاد الإسلامية رقيقا أو عبيداً؛ لأن الرِّقَّ في الإسلام لا يكون إلا بالنسبة لسبايا الحرب من غير المسلمين، وحتى بالنسبة لهؤلاء السبايا في الحروب فإن الإسلام يفتح الباب لعتقهم ويتيح العديد من الفرص لذلك.

أما من أطلق عليهم تعبير المماليك فهم من الوجهة الشرعية أشخاص أحرار لا سلطان لإنسان آخر عليهم، وإن كان قد تم جلبهم بالمال فهو سبيل غير مشروع للاسترقاق في الإسلام.

ولقد حكم المماليك مصر وسورية بعد الدولة الأيوبية، وكان هؤلاء المماليك فئتين:

- المماليك البحرية: وقد جلبهم الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي حكم مصر عام ٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م، وضم إلى مملكته دمشق عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٦م، وظل يحكمها حتى عام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م. وقد جمع نجم الدين أيوب من المماليك ما لم يجمع غيره من أهل بيته، حتى كان أكثر أمراء العسكريين من مماليكه.

وبنى نجم الدين أيوب لمماليكه قلعة بجزيرة الروضة وحشدهم بها، وكان معظمهم من الأتراك، واختار منهم فرقة للأسطول سميت الفرقة البحرية؛ ولذلك سمي هؤلاء بالمماليك البحرية. وقد حكم هؤلاء المماليك من عام ٦٤٨هـ إلى عام ٦٨١هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م.

- والفئة الثانية هم مجموعة أخرى من المماليك الجراكسة، اشتراهم السلطان قلاوون أحد المماليك البحرية بعد أن وصل إلى السلطنة.

وقد حكم قلاوون هو وأولاده وأحفاده لأكثر من قرن من الزمان ٦٧٧-٧٨٤هـ/ ١٢٧٩-١٣٨٢م، وقد استولى أحفاد هؤلاء المماليك الذين عرفوا بالمماليك البرجية على الحكم عام ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، وظلوا يحكمون مصر حتى عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م. وكانت تسميتهم بالمماليك البرجية لأن السلطان الأشرف خليل بن قلاوون أسكنهم في أبراج القلعة، وكان عددهم آنذاك ٣٧٠٠ مملوك. ويرجع أصل المماليك البرجية إلى موطنهم الأصلي في بلاد الكرج (جورجيا)، وهي من الجمهوريات التي استقلت حديثا عندما تفكك الاتحاد السوفيتي السابق، تقع بين بحر قزوين والبحر الأسود، وبها منطقة تعرف باسم شركس، ولذلك سمي هؤلاء المماليك أيضاً بالمماليك الجراكسة.

لقد أبدى المماليك براعة فائقة في صد الهجمات الصليبية على مصر، وخصوصا في موقعة المنصورة. وكان للماليك دور في تولية شجرة الدر سلطاناً للبلاد لمدة ثلاثة شهور، وكان للمماليك الوصاية على عرش مصر بعد مقتل توران شاه وشجرة الدر. وانتصر المماليك على الناصر يوسف الأيوبي صاحب حلب ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م، وصارت مصر وفلسطين حتى نهر الأردن بما في ذلك القدس وغزة والساحل للمماليك بمرسوم صدر من الخلافة العباسية ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م. ولقد أوقف المماليك زحف التتار على مصر في موقعة عين جالوت عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، والتقت مصر والشام بعد الموقعة تحت حكم واحد. واستطاع برقوق، أحد المماليك البرجية أن يقنع الخليفة العباسي بإسناد حكم مصر والشام إليه.

ونظم بيبرس وقلاوون حملات منظمة إلى النوبة لردِّ الاعتداءات التي كان يقوم بها ملوك النوبة على أسوان وعلى الموانئ المصرية، ووصلت سلطة مصر في عهد المماليك إلى جنوب السودان، وقامت مملكة إسلامية في النوبة ودنقلة بفضل الحملة التي قادها عز الدين أيبك من المماليك. واستولى المماليك في عهد السلطان بارسباي المملوكي على جزيرة قبرص وهدّدوا جزيرة رودس. وكانت قبرص قد خضعت لسلطة ريتشارد قلب الأسد منذ الحروب الصليبية، بل أخضع المماليك جزيرة رودس التي كانت تحاول مناصرة جزيرة قبرص، فأسكتوا صوتها.

وكان للمماليك دور كبير في التصدي للجيش التركي الذي حضر لغزو مصر، فأظهر السلطان قنصوه الغوري ورجاله بطولة خارقة في موقعة مرج دابق عام ٩٢١هـ/ ١٥١٦م، لكن الخيانة من بين قادة جيوش قنصوه كانت السبب في الهزيمة.

وتصدى طومان باي للجيش العثماني عند الريدانية عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، لكن الخيانة كانت وراء هزيمة المماليك في تلك الموقعة. وبالهزيمة في الريدانية انتهت دولة المماليك.

المورُوس:

اسمٌ أطلقه الإسبان على العرب أو المسلمين في الأندلس بعد سقوط مملكة غرناطة عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م، التي عمرت كمملكة إسلامية بالأندلس لفترة بلغت ٢٦٨ عاماً، بفضل معاونة ملوك بني مرين في المغرب وكانت هزيمة المسلمين في موقعة طريف التي كانت تُعدّ ثغراً مهما تصل منه معونة المرينيين إلى ملوك غرناطة.

والاسم الإسباني الذي أطلق على المسلمين بعد انتهاء آخر قاعدة للحكم الإسلامي في الأندلس بسقوط غرناطة هو LOS MORISCOS، وهي بالعربية الموروس، وكانت تعني المسلمين الصغار.

ورغم أن المعاهدة التي عقدت بين آخر ملوك بني الأحمر في غرناطة مع فرناندو وإيزابيلا من ملوك إسبانيا كانت تضمن الحرية الدينية لمن بقي من المسلمين في الأندلس بعد الهزيمة فقد اجتهد الأساقفة النصارى في تنصير المسلمين الموروس.

وعندما وصل الأسبان في عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٦م، إلى مجموعة الجزائر التي يطلق عليها اليوم جمهورية الفلبين اصطدموا بطلائع المسلمين الذين كانوا موجودين في جزيرة لوزون، كبرى الجزر الشمالية بالفلبين- سموهم بالاسم الذي سبق أن أطلقوه على المسلمين في الأندلس وهو المورُوس.

ولازال هذا الاسم يطلق إلى اليوم على المسلمين في الفلبين وهو مظهر من مظاهر التعصب الديني الذي يمارس ضد المسلمين هناك .

النورمان:

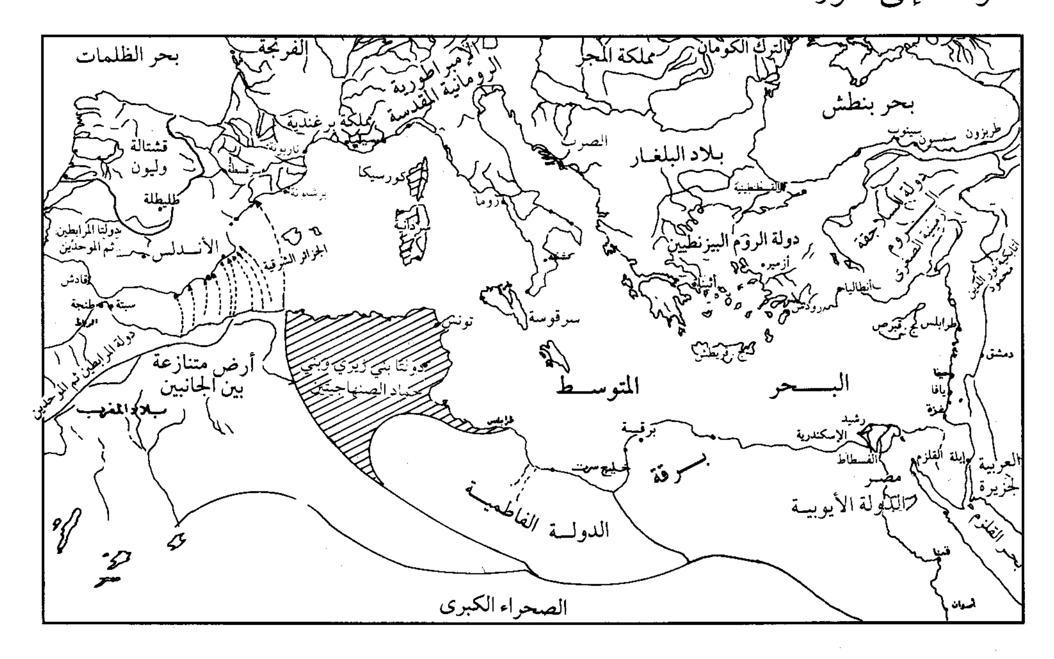
النورمان قوم محاربون من أهل الشمال الأوربي، يرجع موطنهم الأصلي إلى شبه جزيرة إسكندنافيا، السويد والنرويج، والدانمرك وبعض شواطئ أيرلندا، وكانوا قد بدأوا مع مطلع القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي يقومون بغارات على سواحل أوربا الغربية، فنزلوا على الساحل الشمالي الغربي لفرنسا، ولا زال إقليم نورماندیا بفرنسا يحمل اسمهم، كما غزوا إنجلترا فيما يعرف بالغزو النورماندي ١٠٦٦م .

وكانت أساطيل النورمانديين تتكون من سفن صغيرة متينة البناء ذات أشرعة سوداء تسير بالمجاديف. وأطلق عليهم الأوروبيون اسم (الفا يكنجز -VI KINGS) . وكانوا يرسون بأساطيلهم عند مصبات الأنهار فيظل فريق منهم على الشاطئ، بينما تتوغل بقية السفن إلى الداخل لتنهب وتسرق. وكانوا يستعينون بالنار لإرهاب السكان الآمنين، فيوقدونها حيثما نزلوا؛ مما جعل العرب يطلقون عليهم اسم المجوس .

كان للنورمان غارات على بلاد الإسلام في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، كما كان لهم على الشمال الإفريقي أيضاً غارات إبان حكم أسرة آل زيري في تونس وبني حماد في الجزائر فاحتلوا الشواطئ من طرابلس حتى بنزرت في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي،

وسيطروا على شواطئ طرابلس وإفريقية، من طرابلس إلى تونس وبعض موانئ برقة، وهددوا القيروان. واستطاع عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين طردهم من المهدية، واستعاد كل شواطئ المغرب وموانيه.

وكان للنورمان أيضاً خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بقيادة روجر الأول (رجار) غزوات في جزيرة صقلية، وكان الفاطميون قد ولوا على الجزيرة أسرة الكلبيين ٣٣٦- ٤٣١هـ/ ٩٤٧- ١٠٣٩م. وفي آخر عهدهم ثار الصقليون على الحسن الصمصام بن يوسف الكلبي واستقل بعض القادة العرب بأجزاء مختلفة من الجزيرة، واستعان أحدهم وهو ابن التمنة برجار النورماندي، وكان حاكماً على جنوبي إيطاليا عام ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، فأقبل القائد النورماندي بقواته إلى الجزيرة، وبدأ يستولي على معاقلها. وتم القضاء على بقية المسلمين في صقلية خلال الفترة ٥٦٢-٥٨٥هـ/ ١١٦٦-١١٨٩م، وانتقلت سيادة البحر المتوسط إلى النورمان.





الفهرس

انتشار الإسلام في أوروبا

القاموس الإسلامي

للناشئين والشباب

إعداد ومراجعة: نخبة من أعلام الكُتّاب والباحثين

هذا القاموس محاولةٌ غير مسبوقة في صياغته وإعداده وفي الفئة التي أعدَّ من أجلها إعداداً يتناسب في مادته ولغته وأسلوب عرضه مع احتياجاتها الفكرية والنفسية والتربوية.

إنه قاموس متخصص يعالج المصطلحات الشرعية اللازمة لتثبيت المفاهيم الإسلامية الصحيحة لدى الناشئين والشباب في العبادات والمعاملات، ويوفر لهم الزاد اللازم عن أبرز معالم الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، والقيم التي أرساها الإسلام ورسَّخ أصولها.

ويتكون هذا القاموس من خمسة عشر جزءاً تتضمن المواضيع التالية:

١) العقيدة
٢) الطهارة
٣) الصلاة
٤) الزكاة
٥) الصوم
٦) الحج والعمرة
٧) الجهاد
٨) الأسرة المسلمة
٩) المعاملات الإسلامية
١٠) انتشار الإسلام في آسيا
١١) انتشار الإسلام في إفريقيا
١٢) انتشار الإسلام في أوروبا
١٣) نظم الحكم في الدولة الإسلامية
١٤) ازدهار العلوم والفنون الإسلامية
١٥) مفاهيم وقيم إسلامية

ردمك ٦-٣٩٥-٢٠-٩٩٦٠

970805060000206